
بسم الله الرحمن الرحیم

إعداد: مجلة مهدي

بالتعاون مع: مركز التمنية الفكرية للأطفال والناشئة - إيران

نصوص: • فريبا كلهر
• محسن هجري
• نورا حق
• مجيد محمدي

رســــوم: • علي هاشمي
• ليلى درخشاني
• فاطمة رادبور
• هدى حداد
• عاطفة ملكي

تعريب: د. محمد ترمس

تحرير: أسرار دعموش

تدقيق المحتوى: مركز نون للتأليف

إخراج: رضا قصير

طباعة:

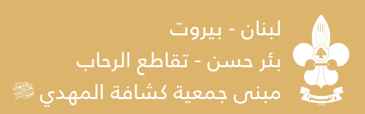


الفئة المستهدفة: 13 - 17 سنة

إصدارات: مهدي

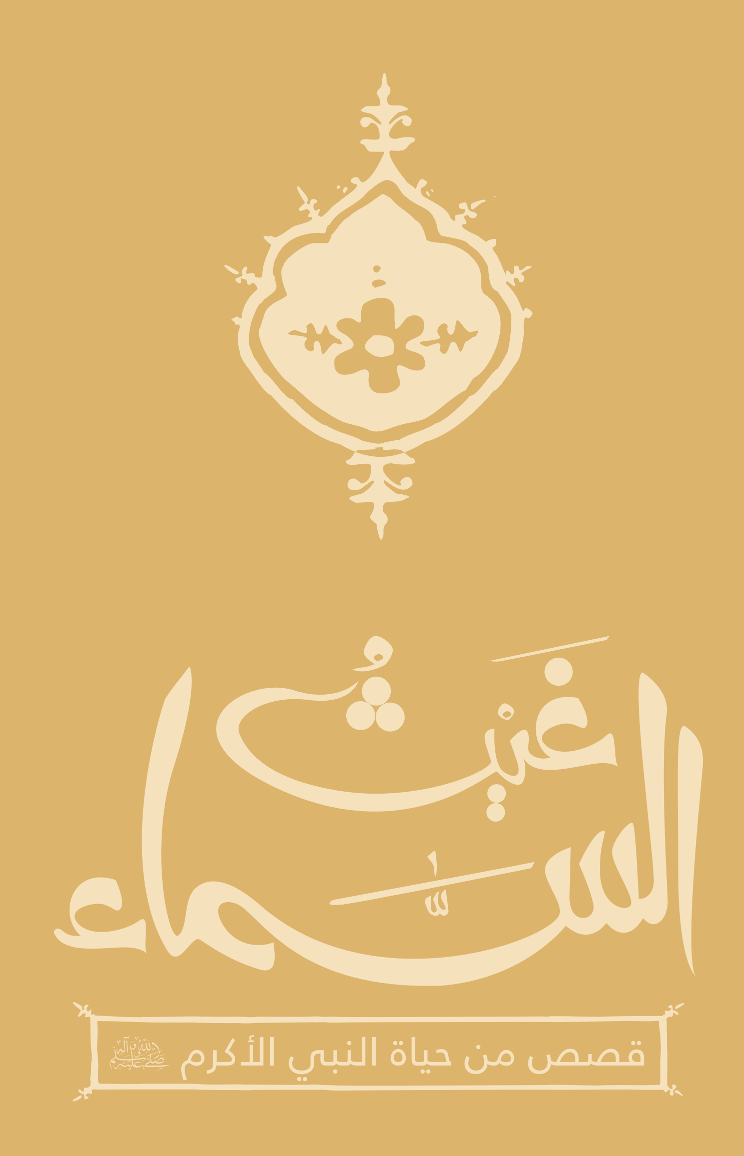
www.mahdimagazine.net

الطبعة الأولى 2014 م



لبنان - بيروت
بئر حسن - تقاطع الرحاب
مبنى جمعية كشافة المهدي

تلفاكس: 01 545836


غيث السماء
قصص من حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

محطّات من سـيرة

مرّت حيـاة رسـول الله

من الولادة المباركة إلى البعثة النبوية الشـريفة

ولادته	17 ربيع الأول 571 م عام الفيل. كان يتيم الأب قبل ولادته، (توفّي والده عبد الله وهو في بطن أمّه آمنة بنت وهب).
بعد الولادة	ذهب إلى قبيلة بني سعد ليرتضِع من حليمة (571 م)
5 سنوات	عاد من قبيلة بني سعد (576 م)
6 سنوات	توفّيت والدته (576 م) فكفِله جدّه عبد المطلب (577 م)
8 سنوات	توفّي جدّه عبد المطلب (579 م) فكفله عمّه أبو طالب (579 م)
12 سنة	عمل بالتجارة ولُقِّبَ بالصادق الأمين (583 م)
25 سنة	تزوّج من السيدة خديجة بنت خويلد (596 م)
35 سنة	أجرى حلف الفضول لنصرة المظلوم (606 م)
35 سنة	أعاد بناء الكعبة بعد احتراقها (606 م)
40 سنة	بعثه الله تعالى نبيّاً للعالمين أجمع (611 م)

من الهجرة

1 **السنة 1 من الهجرة:** بنى ﷺ مسجداً، آخى بين المسلمين، أعدَّ النواة الأولى للجيش الإسلامي

2 **السنة 2 من الهجرة:** انتصر ﷺ على المشركين انتصاراً ساحقاً في معركة بدر التي خاضها المسلمون ضدّ مشركي قريش.

6 **السنة 6 من الهجرة:** قضى ﷺ على اليهود المتآمرين على المسلمين في معركة خيبر.



الرسول الأعظم ﷺ

محمد ﷺ بثلاث مراحل:

من البعثة النبوية إلى الهجـــرة

- **3،2،1** إسلام السيدة خديجة بنت خويلد، وإسلام الإمام علي بن أبي طالب. دعا ﷺ إلى الإسلام بشكل سرّي (الدعوة السريّة).
- **4** السنة 4 من البعثة: بدأ ﷺ يدعو الناس جهاراً وعلانية (الدعوة العلنية).
- **5** السنة 5 من البعثة: اشتدَّ أذى قريش للمسلمين فهاجروا إلى الحبشة.
- **6** السنة 6 من البعثة: عاد مهاجرو الحبشة.
- **8،7** السنة 7-8 من البعثة: قاطعت قريش بني هاشم وبني عبد المطّلب.
- **10** السنة 10 من البعثة: أُسري به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (الإسراء والمعراج).
- **10** السنة 10 من البعثة: توفّيت السيدة خديجة وأبو طالب (عام الحزن).
- **10** السنة 10من البعثة: عرض ﷺ الإسلام على القبائل في موسم الحج، وأسلم مجموعة من الأنصار.
- **12** السنة 12 من البعثة: تآمرتْ عليه ﷺ قريش وأرادت قتله فأمره الله تعالى بالهجرة إلى يثرب فهاجر إليها.

إلى الرّحيل

- **8** **السنة 8 من الهجرة:** فتح ﷺ مكّة.
- **10** **السنة 10 من الهجرة:** حجّ ﷺ حجّة الوداع وعيّن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة على المسلمين من بعده.
- **11** **السنة 11 من الهجرة في 28 شهر صفر الحرام:** توفّي الرسول الأعظم ﷺ ودُفن في المدينة المنوّرة.




ظُهُورُ
تِلْكَ النَّجْمَة
قصّة ولادة النبي صلى الله عليه وآله



كانت تقف على عتبة الباب وتنظر إلى البعيد، تتكلّم بكلامٍ خافتٍ لا أفهم منه سوى كلمة واحدة قد أَلِفْتُ سماعها:

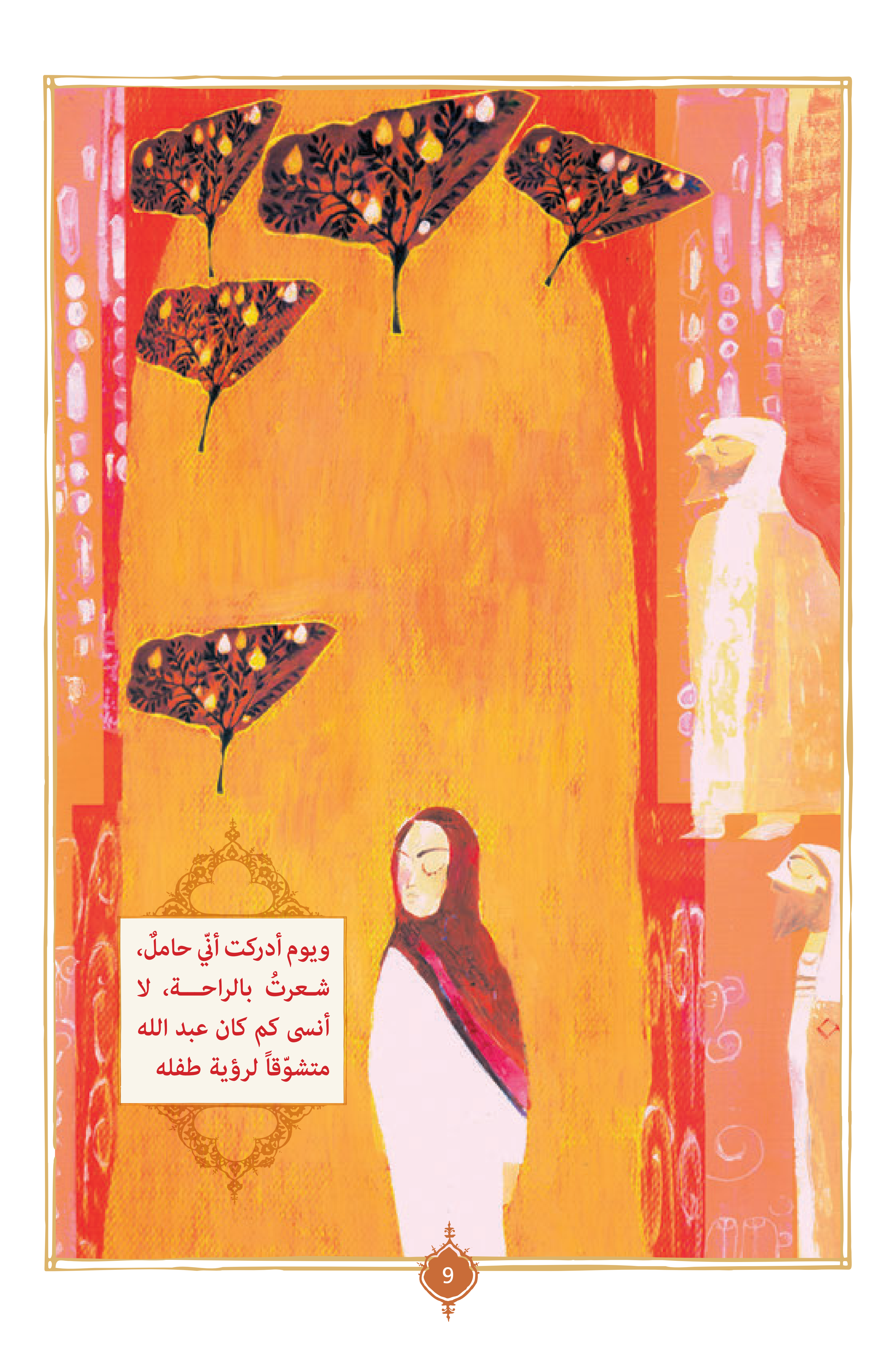
«مُحمّد».

التَفتت آمنة نحوي وقالت: «شمّاء، متى تظنّين أنّه سيرجع؟».
أجبتُها: «لا تقلقي يا سيّدتي، لن يطول غيابه، اصبري سويعاتٍ قليلة».
اغرورقت عينا آمنة بالدموع، ثمّ أخذت نفساً عميقاً وقالت: «آه، لو كان عبد الله حيّاً، كم اشتقتُ إليه».
اتّجهَتْ نحو زاوية الغرفة وجلستْ على الأرض، لحِقتُ بها، تنهّدت وقالت: «كم أنّ الزمان يمرّ بسرعة؛ وكأنّي البارحة رأيتُ عبد الله ولم يكن خطبني بعد، كنتُ في سوق مكّة مع نساء عدةٍ، وكان هو برفقة أبيه عبد المطلب، مطأطئًا رأسه خلافاً لكثيرين من رجال مكّة الذين يلاحقون الفتيات بنظراتهم، رأيتُ عينيه تلمعان كجوهرتين عندما رفع رأسه للحظة، فقالت إحدى الفتيات: يا لسعادة الفتاة التي ستُصبح زوجةً لعبد الله، وقالت أخرى: إنّه كالنجمة يلمع بين أولاد عبد المطلب.
سكتت آمنة وقد انسابت دموعها على خديّها ثم قالت:

«إلهي، ما هي الحكمة التي ابتليتني بها من وراء هذا الارتباط القصير المدة؟ أترين يا شمّاء! رحل زوجي للأبد، وابني بعيدٌ عنّي، يعيش في الصحراء منذ سنتين، ما الحكمة من هذه المصيبة؟».

قلتُ لها: لا تقلقي على **محمّد**، لقد اعتنيتُ وأمي حليمة به في هاتين السنتين وكأنّه بضعة منّا. حقاً، لم تقولي لي في النهاية كيف تزوجتِ بعبد الله».
مسحت آمنة دموعها وحدّقت في عينيَّ؛ كان هناك شيءٌ يخطف الضوء من عينيها.
آه، وكأنّ عبد الله يمرّ أمامي الآن، كم كانت بسمته جميلة، ما زلت أذكرُ جيداً حينما التفت إليّ عبد الله وقال: يا قلبي ونور عيوني، ألستِ نادمةً على الزّواج منّي؟ فطأطأتُ رأسي خجلاً ولم أتفوّه بكلمة. مدّ يده تحت ذقني ورفع رأسي، فوقع نظري على نظره. كانت عيناه تلمعان، أجبته بصوتٍ مرتجف: لماذا أندم يا نور عيني؟ احمرّت وجنتاه حياءً، وكان النور يشعّ من وجهه لدرجة أنك تستطيعين رؤية كل الدنيا فيه».
أمسكت آمنة يديّ بحماسٍ وقالت:
إنّي رأيتُ في عالم الرؤيا أنّي وهو وسط عاصفةٍ في صحراءٍ شاسعة ومن ثمّ أضعته بعد لحظات، ناديته فلم يجبني، لم أره لكنّ طائراً جميلاً ظهر فجأة واتّجه نحوي ثمّ رفرف باتجاهٍ آخر وكأنّه دعاني إلى مكانٍ ما، ويوم أدركت أنّي حاملٌ، شعرتُ بالراحة، لا أنسى كم كان عبد الله متشوّقاً لرؤية طفله، فحينما كان يرجع إلى المنزل كان يطبع قبلةً على جبيني ويقول:

«مَتى سَيَصِلُ نَجْمي؟»


ويوم أدركت أنّي حاملٌ،
شعرتُ بالراحة، لا
أنسى كم كان عبد الله
متشوّقاً لرؤية طفله


لقد أخذني إلى سماء
الرؤى، هناك إلى أعلى
عليين، عند نجوم لم
أكن قد رأيتها أبداً

كان يحدّق في عيني ويقول: آمنة، آه كم تزدادين جمالاً! وأحياناً كنتُ أستيقظ وسط الليل وأُحدِّثُ ولدي الذي لم يولد بعد.

صدّقيني، إنّ ما أقوله لك ليس بخيال! لقد أخذني إلى سماء الرؤى، هناك إلى أعلى عليين، عند نجومٍ لم أكن قد رأيتها أبداً، **ثم كنت أرى محمّدي يصبح نجمةً، أكثر إشراقاً من بقية النجوم!**
أحياناً كنتُ أشعر أنّه يأخذني إلى نبعٍ يتفجر من تحت حجرٍ ويجري فوق التراب، وفجأةً يتبدل النبع إلى نهرٍ جارٍ يتصل ببحرٍ كبيرٍ في الأفق، وأحياناً كنتُ أرى نفسي في بستانٍ حيث يُمسك ملاكٌ صغيرٌ بصغر **محمّد** بيدي ويأخذني إلى الجهة الأخرى في البستان؛ بستانٌ لا انتهاء له؛ بستانٌ كانت فاكهته تلمع.
عندما كنت أقصّ هذه الرؤى على عبد الله، كانت ترتسم بسمةٌ على شفتيه ويقول:

أُغْبِطُكِ على أُمُومَتُكِ! أمسكي بيديّ ولو لمرةٍ واحدة وخذيني معك إلى عالم الرؤيا!

وفي ليلةٍ، دخلتُ مع عبد الله ممسكَين بيدي **محمّد** إلى البستان الجميل. عندما رأى عبد الله البستان نسيَ نفسه وأخذ يركض وسطه. ظلّ يركض ويركض إلى أن اختفى عن ناظري بين الأشجار. جلست تحت شجرةٍ أنتظر عبد الله، فرجع بعد لحظاتٍ وأخذ بيدي ودخلنا وسط الأشجار، لكنّ **محمّد** بقيَ جالساً تحت الشجرة، ولا أعرف لمَ لم نقلق، وكأنّنا كنّا نسمع صوت ضحكته من بعيد! أتسمعين صوتي يا شمّاء؟»
أخذت نفساً عميقاً وقلتُ: «نعم، أسمعك، ولكنّني شعرت أنني معكم في البستان».

تابعت آمنة: «آه كم اشتقت إلى **محمّدٍ**، يا ليت الساعات تمرّ مرّ السّحاب. أتعلمين يا شماء! عندما وُلد عزيزي **محمّد**، افتقدت عبد الله، لو تعلمين كم كان يعدّ الأيام لمجيء هذا الطفل.
ولكنّ أيامي الحلوة مع عبد الله مرّت بسرعة فقد ذهب في سفرٍ مع قافلةٍ تجاريةٍ لقريش إلى الشام وفي طريق العودة أراد العروج إلى يثرب ليرى بعض أقارب أمّه، لكن...».
سكتت آمنة ولم تتكلم بعدُ. تركتها في حالها وانشغلتُ في القيام بأعمال المنزل، أتممت الأعمال المنزلية وعدت إلى غرفتها، كانت ما زالت جالسة في زاوية الغرفة، ولكي أخرجها من حالتها سألتها:

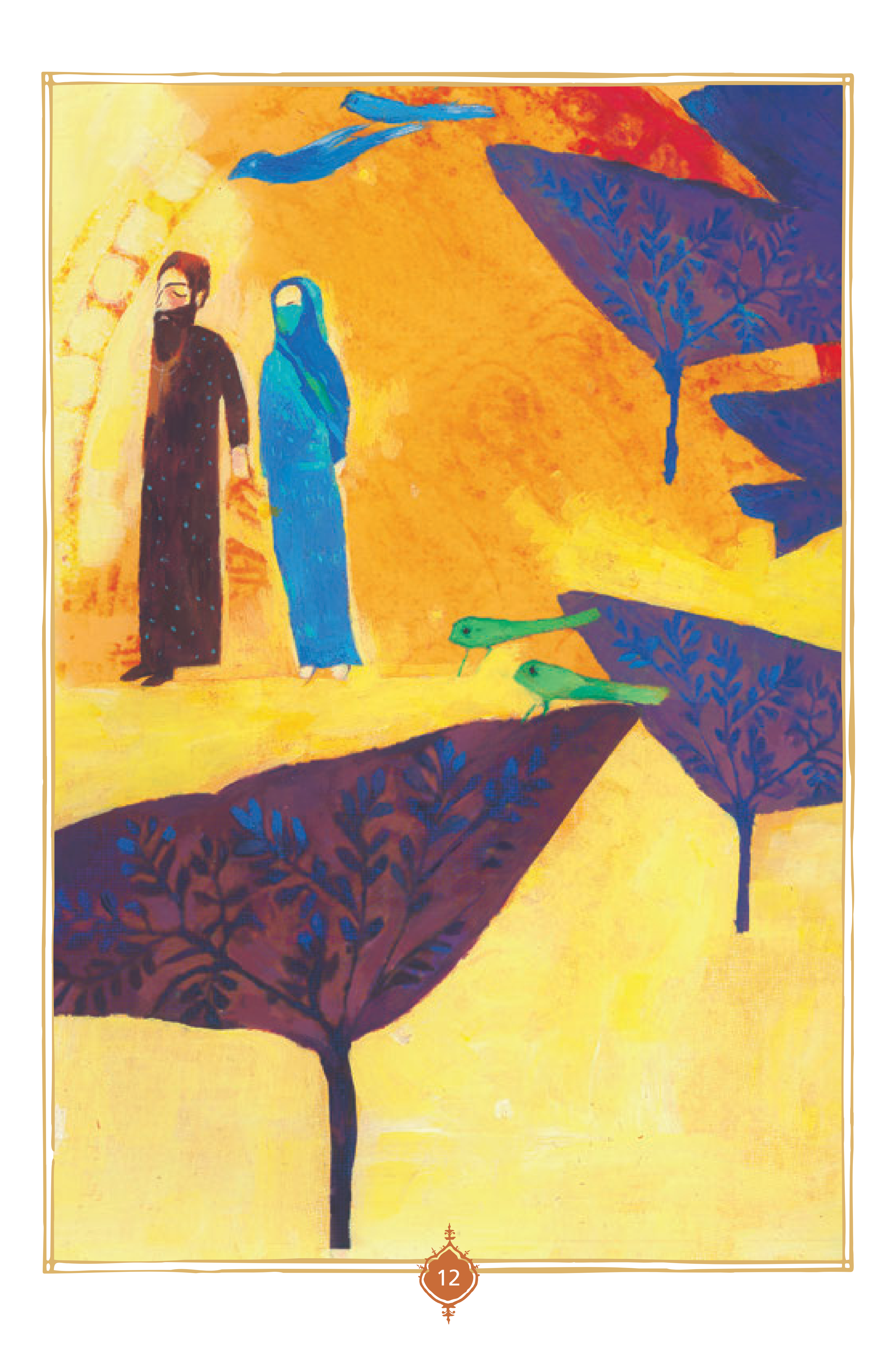
«سيدتي! كيف اخترتم اسم **محمّد** لولدكم؟».

تبسمت وقالت: «أوّل ولادته أخذه جدّه عبد المطلب وأدخله إلى الكعبة وهناك اختار له اسمه، وعندما كان يُسأل عن سبب اختياره هذا الاسم لحفيده يقول:

«اسمه **محمّد** كي يبقى حامداً شاكراً لله».

عندما أعطاني عبد المطلب **محمداً**، ضممتُه إلى صدري، نسيت كل أوجاعي، شممت فيه رائحة عبد الله، رأيت عبد المطلب يحدّق بنا وقد انهمرت دموعه على خديه فأدركتُ أنّه مشتاقٌ إلى عبد الله، قال لي بلطفٍ: لا تقلقي على إرضاع **محمّد**، سوف نختار له مرضعةً عمّا قريب».

فجأةً سألتني آمنة: «حقاً يا شماء، **كيف جاءت أمّك تسأل عن محمّد؟**».






عندما كنّا نحضنه
يملأُ حبّه كلّ وجودنا
بشكلٍ لا يوصف

أجبتها: «في السنوات التي مضت عانت قبيلتنا بنو سعد أياماً صعبة؛ أتلف القحط الكثير من مواشينا، الحاجة والجوع قد آذيانا، وكان أبي يشكو ويقول كيف سأُشبع بطون هؤلاء الأطفال؟ فقالت أمي: لا تقلق، سوف أذهب مع نسوةٍ عدّة من القبيلة إلى مكة لأكون مرضعةً لطفلٍ مكّيٍّ. لعلّ مشكلاتنا تُحلّ.

أخبرتنا أمي: أن كل امرأةٍ من قبيلتنا وجدت رضيعاً لها، وأنا فقد اقترحَتْ عليّ أسرة عبد المطلب أنّ أرضِع طفلهم وأوّل ما نظرتُ إليه شعرت بطمأنينة في قلبي وأحببته وهكذا دخل **محمّد** إلى منزلنا.

لكن، سيدتي! حصل شيءٌ عجيبٌ بعد التحاق **محمّد** بأسرتنا؛ ففي اليوم الأول الذي ضمّت فيه أمي **محمداً** إلى صدرها لإرضاعه وما هي إلا لحظات وإذ بها تقول فرحةً: يا إلهي، انظروا هذا الطفل كيف يشرب اللبن بشهية لقد درّ لبني وازداد.

فأجابها أبي ضاحكاً: تستطيعين إحضار أطفالٍ آخرين بهذا اللبن الموجود في صدرك، فقالت لا، لن أستبدله بأيّ طفلٍ آخر إنّه عزيز قلبي.

سيدتي! يا ليتكِ كنت حاضرة لتري كم كان **محمّد** عزيزاً لدى أمّي ولدينا جميعاً، عندما كنّا نحضنه كان يملأُ حبّه كلّ وجودنا بشكلٍ لا يوصف، لقد أصبح لبيتنا لونٌ آخر بعد مجيء **محمّد**؛ فعندما كان يرجع أبي متعباً كان أول شيءٍ يقوله:

«أين بركة البيت؟ فإذا كان محمّدٌ نائماً، كان يجلس عند رأسه ويقبّل يده على مهلٍ كي لا يوقظه، كان يقول دائماً: لا أعلم لماذا كلما أتيت إلى المنزل ورأيت محمداً، أنسى كلّ همومي ومشاكلي».

لكن الأمر الذي جعل بني سعد يقعون في حيرةٍ وتعجب، هو ما حصل لقطيع خرافنا، قالت لنا أمي يوماً: أرايتم كيف أنّ خرافنا سمِنت، إلى أين تأخذونها لترعى؟

أجاب أخي: إلى نفس المنطقة التي كنّا نأخذها إليها من قبل.

وبعد ذلك، حاول الكثير من بني سعد أخذ قطعانهم إلى نفس تلك المنطقة لكن لم تصل إلى ما وصلت إليه خراف أبي «حارث». وعندما حان فصل ولادة الأغنام، أولدت خرافنا أكثر مما كانت تلد في السنوات الماضية. لذلك كان أبي يقول دائماً: هذا الطفل بركة المنزل.

وكانت أمي تقول: إنّ عيني **محمّد** تلمعان من بين رموشه وكأنّهما نجمتان ساطعتان وسط الليل الحالك».

وهكذا كنت أتكلّم عن **محمّد** حتى غفِلت عن آمنة، وإذ بي أراها تشمّ قُماشةً وتتمتم بكلامٍ، ثم التفتت إليّ وقالت: «اترين يا شمّاء! إنّها تلك القماشة التي ربطتها حول رأس **محمّد**، إنّي أشمّ فيها رائحته، لم أره منذ سنوات، كيف أصبح شكله؟ أيمشي؟ أيتكلم؟ هل اشتاق إلي؟ يا ليت هذا الليل ينتهي في لمحةٍ كالبصر ويطلع الصبح لأراه».

في غد تلك الليلة، أشرقت الشمس وبسطت قميصها الجديد على مكّة، وإذ بي أسمع صوت أمي.

- مولاتي! هل أنتِ في المنزل؟ أنا حليمة. لقد أحضرت **محمداً**.

صاحت آمنة صيحةً صغيرة وركضت نحو الباب، تقدّمت وقالت بصوتٍ يرتجف: «محمد، يا ضيا بصري، أتعرفني؟ ألا تريد المجيء إلى حضني؟» وفتحت يديها.

حدّق محمد قليلاً في آمنة ثمّ ألقى بنفسه في حضنها، كانت تشمّه وتذرف الدموع، رفع يديه نحو وجهها وبدأ يلاطفها، ثم وضع رأسه على كتفها وأغمض عينيه.


ولكن لم يعد لي طاقةً على
الابتعاد عنه، فمحمد يملأُ
الفراغ الذي تركه عبد
الله، لا أستطيع تحمّل
الوحدة ثانيةً

لم تمضِ ساعةٌ حتى وصل عبد المطلب برفقة عددٍ من أولاده، وكأنّهم أتوا لرؤية أحد كبراء قريش. وقبل الآن، كان عبد المطلب قد ذهب مراراً عند بني سعد، لذلك فهو يعرفه جيداً، وما إنْ أطلّ عبد المطلب من الباب حتى ركض **محمّدٌ** نحوه وناداه بلحنٍ حلوٍ «أبي». ضمّه عبد المطلب إليه وقال: «يا روح أبيك!».

امتلأت عينا آمنة بالدموع، كنت أعلم أنّها تفكر في عبد الله، انتبه عبد المطلب لذلك، فقال: «يا زوجة ابني الحبيبة، لماذا تبكين؟ اليوم يوم فرحٍ وسرور، ألا ترين أن ذكرى عبد الله قد رجع؟ انظري إلى عينيه، كأنّهما عينا عبد الله. أنا أعلم أنّ عبد الله مسرورٌ اليوم، أوَليس **محمّدٌ** حبيبه قد رجع من سفره سالماً؟».

كان صوت عبد المطلب يرتجف بوضوحٍ، فحبّه لعبد الله كان يُضرب به المثل.

توجّه عبد المطلب إلى أمّي وقال: «يا حليمة، هل كانت تربية حفيدي العزيز صعبة؟».

أجابَتْ: «يا كبير بني هاشم، أي صعوبة؟ كان **محمّدٌ** بركة منزلنا».

قال عبد المطلب: «بعد ساعةٍ أخرى، تعالي إلى منزلي كي أدفع لكِ ما بقي من أُجرتك. نحن لن ننسى إحسانك وعائلتك».

أجابت أمّي: «إنّي أحبّ **محمّداً** كأولادي، لكنّني أريد أن أستشيركم بأمر، فكما تعلمون لقد انتشر الوباء والمرض في أنحاء مكة وقد أهلك كثيرين، وأنا أخاف أن يُصاب **محمدٌ** بمكروه».

قاطعها عبد المطلب: «**هل محمّد** مريض؟»

أجابته أمي على عجلٍ: «كلا، كلا، أريدكم أن تسمحوا لي أن أرجع **محمّد** ثانيةً لأيام عدّة، ولا أريد منكم ما بقيَ من أُجرتي».

أسرعت آمنة لتقطع كلامها وتقول: «ولكن لم يعد لي طاقةٌ على الابتعاد عنه، **فمحمّد** يملأُ الفراغ الذي تركه عبد الله، لا أستطيع تحمّل الوحدة ثانيةً».

بعد لحظاتٍ من الصمت قال عبد المطلب: «أعتقد أنّ الحق مع آمنة، فلتمرّ أيامٍ عدّة ومن ثم نتخذ القرار المناسب بهذا الشأن»

قالت أمي: «كما ترون لكن اسمحوا أن تبقى شمّاء هنا كي تساعد آمنة في الانتباه إلى **محمّدٍ**»

أجابت آمنة: «إذا كانت شمّاء تريد البقاء هنا، فلا مانع لديّ».

فرح الجميع وأكثرهم أنا! لأنني لن أبتعد عن **محمّد** وسأسلّي آمنة ونتحدث عن أمور كثيرة.

لقد وُلدت آمنة من جديد بمجيء **محمّد** إلى المنزل؛ لم تعد تعرف رأسها من أخمص قدميها، كانت تدور حوله كالفراشة، وهو يمشي وسط المنزل ويتكلم بطريقةٍ جميلة. وبعد مضي مدة، أنِس **محمّد** بآمنة وكأنّه لم يكن بعيداً عنها أبداً، حتى أنه في بعض الأحيان كان لا يهتم بالألعاب الطفولية ويرمي بنفسه في حجرها وكأنّه وجدها حديثاً. وكنت أشعر أحياناً أنّه يفتش عن أحدٍ غيرنا! يا ترى هل يشعر بعدم وجود والده؟

قالت لي آمنة مرةً: «أحبّ أن أرى **محمّداً** يضحك ويلعب دائماً، لا أعرف لماذا أراه بعض الأوقات ينظر إلى الزاوية بهدوءٍ وصمت، أيشعر بفقدان أبيه يا ترى؟»

مضت أيامٍ عدة، جاء شخصٌ من قِبل عبد المطلب طالباً إحضار **محمّد** إلى الكعبة؛ فعبد المطلب وبعض أفراد قبيلة بني هاشم يجتمعون كل يوم عند الكعبة للتباحث والتناقش. قمنا بتحضير **محمّد** وانطلقنا مع آمنة لأخذه إلى عبد المطلب. ما إن دخلنا إلى المسجد الحرام، حتى قام عبد المطلب من مكانه واتجه نحونا، ضمّ **محمّدًا** إلى صدره وعاد باتجاه الحاضرين. كنا نشاهد كيف أَجلس عبد المطلب حفيده على فراشٍ خاص إلى جانبه. لقد كان يُكرم هذا الطفل الصغير وكأنّه أحد كبار ووجهاء قريش.

مضت أيامٍ عدّة وعبد المطلب يأخذ **محمّداً** معه إلى المسجد الحرام، ولكن حوادث مقلقة لاحت في الأفق، فكل يومٍ كان يزداد عدد الضحايا خصوصاً بين الأطفال، اضطربت آمنة وقلقت كثيراً بموت طفلٍ من أطفال الجيران، فقالت لي:

«يبدو أنّ أمّك حليمة كانت على حق، أشعر أنّ مكّة لم تعد مكاناً آمناً لعزيزي محمّد، لكن ماذا أفعل ليس لديّ قدرةٌ على تحمل بُعده».

بقيتُ ساكتة، ظلّت آمنة تجاهد نفسها لكنّ الخطر كان جدّياً، وقد شعر عبد المطلب أيضاً بهذا الخطر، لذلك، حضر عند غروب أحد الأيام إلى منزل آمنة ليستطلع رأيها حول عودة **محمّد،** فاتّفقا أن يرجع إلى قبيلتنا.
وبعد مضي أيام عدة، جاء أبي وأمي. وعندما حلّ وقت الذهاب، شعر **محمّد** أنّه سيبتعد مرةً أخرى عن أمّه، مدّ يديه حول رقبتها وقال:

«سوف أرجع عمّا قريب، لا تبكي!»

كانت طريقة كلام **محمّد** حلوة وجميلة الوقع على قلوب الجميع، حتى أنّ آمنة ضحكت من أعماق قلبها، وهكذا عاد **محمّد** مرةً ثانية إلى قبيلة بني سعد بكلّ عزٍّ واحترام، فأبي الحارث وأمي حليمة، كانا يعتبران أنّ **محمّداً** سبب ازدهار حياتهما.
عندما كنت أودّع آمنة، قالت لي: «شمّاء، لقد كنت لي خير أنيسةٍ في هذه الأيام التي مضت، عندما تسمح لك الفرصة تعالي لزيارتي، ولن أوصيك **بمحمّد** مرةً أخرى».
حملتُ **محمّداً** وانطلقتُ مع والديّ عائدين.

تركت آمنة وقد شغلت ذهني قصةُ حياتها المليئة بالعشق والمحبة لعبد الله. والأهم من ذلك، ثمرة ذلك العشق الطاهر. ركبنا الجمل واتجهنا نحو القبيلة.
لم تكن قد أغربت الشمس بعد، حينما وصلنا إلى باديتنا. رأيت أختي أنيسة من البعيد واقفةً جانب باب المنزل تنتظر مجيئنا. ما إن رأتنا حتى ركضت باتجاهنا صارخةً: **«الحمد لله لقد رجع أخي العزيز»**. مدّ **محمّد** يديه وركض نحوها، وعادت الأيام السعيدة إلى أسرتنا مرةً أخرى. كانت الأيام تمرّ بسرعة وفي كل يومٍ كان **محمّد** يصبح أكثر نشاطاً. وبعدما أتمّ **محمّد** الثالثة من العمر، أصبح يرافقنا لرعي القطيع، وكنّا قد صنعنا له عصى صغيرةً ليساعدنا في إرشاد القطيع، ولكنّنا لم نره يضرب الخراف بعصاه، بل كان يتعامل معها بحنانٍ ورأفة. كان **محمّد** واعياً ومسؤولاً حتى اعتمد والدي عليه وسلّمه رعاية القطيع، القطيع الذي أصبح ببركة وجوده أكبر قطيعٍ في قبيلتنا.

وكان **محمّد** يتكلم بلسانه الطفولي بشكلٍ مفهوم، فقد كانت قبيلة بني سعد معروفةً بين العرب بفصاحتها، وكان **محمّدٌ** بنفس الطلاقة والفصاحة.
في تلك الحقبة، أخذ والدي محمداً مراتٍ عدة إلى مكة ليرى أُسرته. مرةً، طلبتُ من أمي أن تسمح لي بالمجيء مع **محمّد** إلى مكة. كنتُ أحبّ أن أرى آمنة مرةً أخرى. وعندما رأتنا، أخذت **محمّدًا** بحماسةٍ نحو صدرها وقالت: «يا عزيزي، هل تحبّ أن ترجع إليّ؟».
أجابها: «متى شئتِ سوف أرجع»، التفتت آمنة إليّ وقالت: «منذ مدّة طويلة لم يعد هناك أثرٌ للمرض والوباء في مكّة، ولم أعد قلقةً على **محمّد**، بعد أشهرٍ عدة يبلغ **محمّداً** الخمس سنوات. كم أحبّ أن تعيدوه إليّ في ذلك الوقت».



لم نراه يضرب الخراف بعصاه، بل يتعامل معها بحنانٍ ورأفة

ثم همست في أُذني قائلةً: «إنّه يملأ مكان عبد الله ويعوّضني عنه».
رجعنا إلى باديتنا، وكلما أشرقت الشمس معلنةً يوماً جديداً، كنتُ أشعر أنّ الوداع قد اقترب، إلى أن قال **محمّدٌ** لأمي يوماً: «**أنا أحبّك كثيراً، لكنّ أمّي وحيدة، فاذني لي بالرجوع إلى مكة**». قالت أمّي بصوتٍ يرتجف: «كما تريد يا عزيزي مكانك هنا محفوظ، متى اشتقت لنا تعال لرؤيتنا».
ورجع محمد مع أبي في غد ذلك اليوم. عندما أراد توديعنا، التفت إلينا وقال: «كلّما جئتم إلى مكّة تعالوا لرؤيتي وأمّي، وأنا سوف أشتاق لكم». ضمّته أميّ والدموع تنهمر من مقلتيها. وعندما غاب عن أعيننا، كان قد ترك عصاه الخشبية في زاوية المنزل، فأخذتها واحتفظت بها تذكاراً لنفسي، وكنتُ فرحةً لفرح آمنة برجوع ابنها بعد تلك السنوات، وسوف يعوّضها وجوده فقدانها لعبد الله. ولكن بُعد **محمّد** جعل منزلنا يغرق في الحزن والاشتياق لأيام؛ فلا شيء يُعوّض فقدانه وحنانه. كانت أمي تقول: «إنّي متعجبة من هذا الطفل الذي يتصرف كالشباب الناضجين! صِدقه، لطفه، تحمّله للمسؤولية، أدبه و... على قريشٍ وبني هاشم أن يفخرا بهكذا ابنٍ».
ومضت سنةٌ كاملةٌ علينا بدون **محمّد**، ولم يكن يصلنا عنه الكثير من الأخبار، إلى أن انطلقنا مع أبي وأمي نحو مكة، ما إن وصلنا حتى اتجهنا مباشرةً نحو منزل آمنة. كان قلبي يزداد اضطراباً كلما اقتربت خطوةً من منزلها. كنتُ أفكر بالكلام الكثير الذي سأقوله. عندما طرقنا الباب تصوّرت أنّ **محمّداً** سيفتح لنا الباب ولن يتركني، ولكن عندما فُتح الباب لم نره.
قالت أمّي: «أنا حليمة، وقد جئت لأرى آمنة و**محمّدًا**».
كانت أم أيمن تعرف أمي، فدعتنا إلى داخل المنزل دون أن تقول شيئاً، لم يكن في المنزل سواها.
قالت وهي تحدّق بزاوية المنزل: «إنّ **محمّداً** في منزل جدّه عبد المطلب».
ضحكت أمّي وقالت: «الحمد لله، قلقت للحظةٍ على **محمّد**».
سألتها على عجل: «وهل آمنة معه؟».
أخذت أمّ أيمن نفساً عميقاً وقالت:
«كلا! لقد اشتاقت آمنة إلى عبد الله، منذ أسابيع عدّة، ذهبت إلى يثرب لتزور قبر عبد الله، لكن...»
وتقاطرت دموعها على خدّيها، معلنةً أنّنا لن نرى آمنة بعد الآن. وتردد صوت آمنة في أذنيّ عن تلك الليلة التي دخلت مع عبد الله ممسكين بيدي **محمّد** إلى ذلك البستان الجميل.
ثمّ ذهبنا إلى منزل عبد المطلب. اضطربتُ حينما فكّرت كيف يمضي **محمّدٌ** حياته متألماً لفقدانه عبد الله وآمنة. وعندما وصلنا، رمى بنفسه في أحضان أمّي دون أن يتفوّه بكلمة. لم أسمعه ينتحب بهذه الطريقة قبل الآن، في تلك الليلة، بقينا إلى جانبه حتى وقتٍ متأخرٍ، وقال والداي لعبد المطلب إنّ باب منزلنا مفتوحٌ **لمحمّدٍ**، فإن أذن يأخذان محمدًا معهما. لكنّه أجابهما:
«أنا لن أنسى أبداً تعبكما وحرصكما على **محمّد**، لكن من الأفضل أن يبقى عندنا، فمن الصعب أن نتحمل بُعده بعد فقدان عبد الله وآمنة».
عدنا إلى باديتنا وأمّي تردد: ما الحكمة في أنّ يُبتلى هذا الولد البريء بهكذا مصائب وأحزان؟ بعد مضي سنتين، توفي عبد المطلب، فتكفّل عمّ **محمّدٍ** أبو طالب برعايته، فأصبحت أمي تقول: وكأنّ مصائب هذا الولد لا نهاية لها!
لكن الآن، بعد مضي كل تلك السنوات، أرى أنّ كلّ الصعوبات والمشقات بدلاً من أن تُحني ظهر أخي، جعلته أقوى وأصلب، وكأنّ ربّ الكعبة أراد أن يمتحن صبره أو أنه أراد أن يدلَّ كلَّ فردٍ يتيمٍ لا ملجأ له إلا عليه، لكي يهدأ ويطمئن عندما يتذكر المصاعب والمشقّات التي مرّ بها.


طلع البدر
قصّص قصيرة من
سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله



إنّها المدينة المنوّرة، زمن رسول الله الأعظم ﷺ.
جاء رجلٌ فقير من مدينةٍ أخرى، ووقف أمام المارة في الأزقّة والسّوق، وأخذ يكرّر ذلك كل يومٍ ويمدّ يده إليهم متسوّلاً.

في أحد الأيّام، قرّر الذهاب إلى منزل النبي الأكرم ﷺ. وصل إلى منزل النبي ﷺ، وقرع الباب وهو يحدّث نفسه: «**يقول الجميع إنّ رسول الله رحيمٌ وكريم. حتماً سوف يعطيني بعض المال، فأستطيع به شراء ثيابٍ وطعام**».

فتح الرسول ﷺ باب المنزل. حدّق أصحاب النبي ﷺ الّذين كانوا ضيوفاً عنده إلى الرجل المتسوّل وهو يقول: «**يا رسول الله! إنّي فقير مُعدمٌ وغريبٌ في هذه المدينة، ساعدني وأعطني مالاً**».

ألقى النبي ﷺ نظرةً إلى وجه وقوام الرّجل؛ لا يبدو عليه العجز وعدم المقدرة. والنّبي ﷺ لم يكن يحبّ الكسل والبطالة، فقال له: «**يا أيّها الرّجل الغريب، إذا كنت حقاً محتاجاً، فسأساعدك؛ ولكن ألم تدّخر شيئاً يكفيك عن التسوّل؟**».

فتح الرجل المتسوّل كيساً كان معه وقال: «**ليس لديّ أيّ ثروةٍ من مال الدنيا. كلّ ما أملك هذه الكاسة التي أشرب بها الماء وقطعة قماش أجلس عليها وأُلقيها عليّ ليلاً عندما أنام**».

قال النبي ﷺ: «أعطني هذه الكاسة وقطعة القماش».
ناول الرّجل الكاسة وقطعة القماش للنبي ﷺ متعجّباً.
التفت النبي الأكرم ﷺ إلى أصحابه وقال: «هل مِن بينكم مَن يشتري هذه الكاسة وقطعة القماش؟»
فَهِمَ أحد الأصحاب مُراد النبي ﷺ فقال: «نعم، أنا أشتري هذه الكاسة وقطعة القماش بدرهمين».

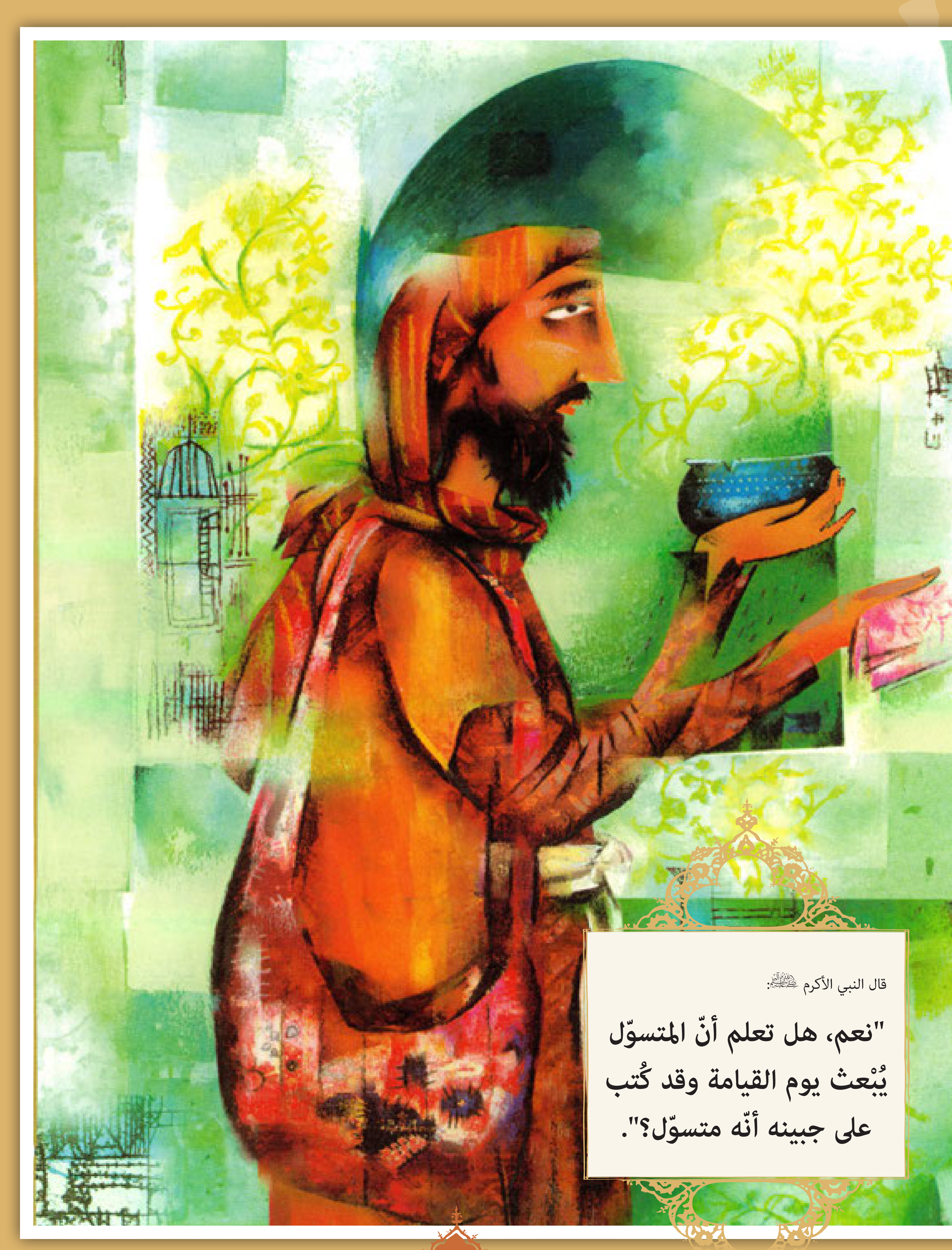
عندها أعطى النبي ﷺ درهمين واشتراهما. ووضع النبي ﷺ الدرهمين في يد الرجل الفقير وقال: «**تستطيع أن تشتري طعاماً بدرهمٍ، وحبلاً بآخرٍ. ثم اذهب بعد ذلك إلى الصحراء، حيثُ الحطب وشُجيرات الشوك! اجمعها واحزمها بالحبل وضعها على عاتقك. ثُم بعها في سوق المدينة. وهكذا إذا عملت، فسيؤمّن الله رزقك**».

أخذ الرجل الفقير الدرهمين وذهب.

وبعد مضي مدّةٍ على هذه الحادثة، كان النبي ﷺ وعلي (عليه السلام) يعملان في بستان النّخيل، وإذ برجلٍ قد أقبل عليهما. عرفه النبي ﷺ؛ إنّه ذلك الرجل المتسوّل. عندما رأى النبي ﷺ، اقترب منه فرحاً وألقى التحية والسلام. نظر النبي ﷺ إلى وجهه الّذي كان يعلوه الرضا والسرور وسأله: «يا أخي، كيف حالك؟ أين كنت وماذا فعلت؟».

أجاب الرجل قائلاً: «**يا رسول الله، لقد كنتُ متسوّلاً** منذ عدّة أسابيع، وكنتُ أعيل نفسي متّكلاً على مساعدة الآخرين لي ولم أكن أملك شيئاً. **أمّا الآن فإنّي أعمل منذ الصباح إلى المساء، وأبذل الجهد في عملي. واستطعت لغاية الآن أن أدّخر خمسة عشر درهماً**».

أخذ النبي ﷺ يديّ الرّجل بكل محبّة وحنان وقال: «أنت رجلٌ شريفٌ! الآن قل لي أيّهما أفضل: التسوّل أم العمل؟»
قال الرجل: «**إنّي أفهم الآن أن التسوّل عملٌ دنيءٌ جداً!**»



قال النبي الأكرم ﷺ:

"نعم، هل تعلم أنّ المتسوّل يُبْعث يوم القيامة وقد كُتب على جبينه أنّه متسوّل؟".



كانت العصافير الظمآنة تُبلّل نفسها وتشرب بلذّة من بركة المسجد الصغيرة المليئة بالماء الزلال. النبي ﷺ جالسٌ إلى جانب عدّة أشخاص من أصحابه. وإذ برجلٍ يلبس ثياباً نظيفةً ومرتبةً ظهر في وسط الزقاق، وأخذ يقترب من المسجد. عندما رأى النبي ﷺ ذلك الرجل، قال لمن حوله: "لقد أتى إلينا رجلٌ من أهل الجنة".

حدّق الجميع بالنبي ﷺ. يعرف النبي ﷺ ذلك الرجل جيداً وأخلاقه كذلك. وتكرّرت هذه الحادثة في اليوم التالي. كان النبي ﷺ مع أصحابه وإذ بذلك الرجل يتقدّم نحوهم، فقال النبي ﷺ مرةً أخرى: "لقد أتى إلينا هذا الرجل من الجنة".

ونفس الأمر تكرر في اليوم الثالث، أعاد النبي ﷺ نفس مقولته عندما رأى ذلك الرجل. فكّر عبد الله الذي كان واقفاً إلى جانب النبي ﷺ: "يا تُرى ما الذي فعله هذا الرجل، لكي يُحبّه النبي ﷺ لهذه الدرجة ويقول عنه دائماً إنّه من أهل الجنة؟! لعلّه يصلّي ويقوم بالليل ويعبد الله كثيراً".

سلّم الرجل على النبي ﷺ وأصحابه وجلس إلى جانبهم. بعد مضي ساعةٍ من الوقت، قام الرجل ليذهب، فاقترب عبد الله منه وقال: "أحب أن أرافقك لعدّة أيام وأن أكون إلى جانبك".

قَبِل الرجل طلب عبد الله بكلّ محبة ووجهٍ بشوش. في اليوم التالي، رافق عبد الله الرجلَ أينما ذهب. أراد أن يعرفه أكثر عن قُرب، ماذا يفعل لكي يكون مقرّباً هكذا إلى النبي ﷺ ويقول مقولته تلك حوله.

بعد مضى عدّة أيام، تنبّه عبد الله إلى أنّ هذا الرجل لا يختلف عن بقيّة الناس، فهو يسعى طوال النهار لتأمين معاش أسرته. ويصلّي الصلوات الواجبة ولكنّه لا يقوم في الليل للصلاة والعبادة!

أمضى عبدالله ثلاثة أيام برفقة الرجل، ولكن عندما لم يصبُ عبد الله إلى ما يريد، ولم يحصل على جوابٍ مقنع، أفصح له عمّا يجول في خاطره، قائلاً: "عندما مدحك النبي ﷺ، أردتُ تقصّي الأمر. أردتُ أن أكون بالقرب منك لأرى من أنت كي يقول عنك النبي ﷺ إنّك من أهل الجنة؛ لكنّي لم أرَ أيّ عملٍ خاصٍ قد صدر عنك في الأيام الماضية".

ضحك الرجل وقال: "عبد الله، يا صديقي! لا يمكن أن تجد سرّ أهل الجنة في الأمور التي تبحث فيها. لا يكون الإنسان من أهل الجنة فقط في إقامة الصلاة والعبادة. أنا أحاول دائماً أن أكون صادقاً في أعمالي. لا أخون أحداً ولا أحسد الآخرين، هذا الذي أقوم به!"

نظر عبد الله في وجه الرجل اللطيف. وغرق مفكراً وكأنه الآن اتضح له الكثير من الأمور وفهمها، ثم قال: "إنّ هذه الأعمال الحسنة هي التي جعلتك من أهل الجنة. فأنت تملك أخلاقاً لعلّنا لم نصل إليها بعد".

بعد ذلك ودّع عبد الله ذلك الرجل وانطلق. أثناء المسير، كان عبد الله يتمتم بشفتيه: "أن تكون صادقاً، لا خائناً ولا حاسداً!".





أحسن والد في الدنيا

نظر إلى ألعاب الأطفال، ومن ثم إلى ثيابهم الجديدة. انقبض قلبُه وغصّ بعبرته. قال في نفسه: **"يا ليت أبي على قيد الحياة. لو كان حيّاً لكان عندي في هذا اليوم من العيد حذاء وثياب جديدة، ولكنتُ مسروراً مثلهم وألعب ولكن...".**

انهمرت الدموع من عينيه. فجأةً، وقعت عيناه على رجلٍ. يبدو أنّ الرجل كان يراقبه من بعيد.

توجه الرجل نحوه. عندما أصبح قريباً منه، عرفه. **إنّه رسول الله محمد** ﷺ. جلس النبي ﷺ أمامه بحنانٍ ولطف. أمسك بيديه وسأله: "لماذا تبكي؟"

قال الولد: **"لقد استُشهد والدي في الحرب. أنا وأمّي فقيران، ولا يوجد من يهتم بي. ليس لديّ حذاء وثياب جديدة، والأولاد يستهزئون بي ولا يدعونني ألعب معهم".**

حزن النبي ﷺ عندما سمع مقولة الولد. ضمّه إلى صدره، قبّله وقال:

"لا تحزن، منذ اليوم أنا والدك وابنتي فاطمة أختُك".

فرح الولد كثيراً. ركض نحو الأولاد وصاح: **"يا أولاد، لا تستهزئوا بي بعد الآن، لقد أصبح لديّ والد. ووالدي أحسن والدٍ في الدنيا".** ضحك النبي ﷺ وأخذ بيد الولد ومشى به إلى منزل ابنته فاطمة. دخل إلى المنزل وسلّم ثم قال: "يا ابنتي! هذا الولد ولدنا وهو أخوكِ فأكرمي ضيافته". تبسمت فاطمة عليها السلام بسمة حلوة للولد. ألبسته ثياباً نظيفة وجميلة. ثم مشطت شعره. حدّق الولد بتعجبٍ بفاطمة وولديها. وضعت فاطمة أمامه إناءً من الرطب وقالت بحنانٍ: "حسن، حسين، يا عزيزيّ، تعالا وكُلا الرطب مع هذا الولد".

جلس الحسن والحسين معه. ضحك الولد. لم يعد يشعر بالوحدة. وفرح الحسن والحسين أيضاً بالتعرّف إليه. وكانت هذه قصّة بداية صداقة بينهم. صداقةٌ عُقدت في يوم العيد.



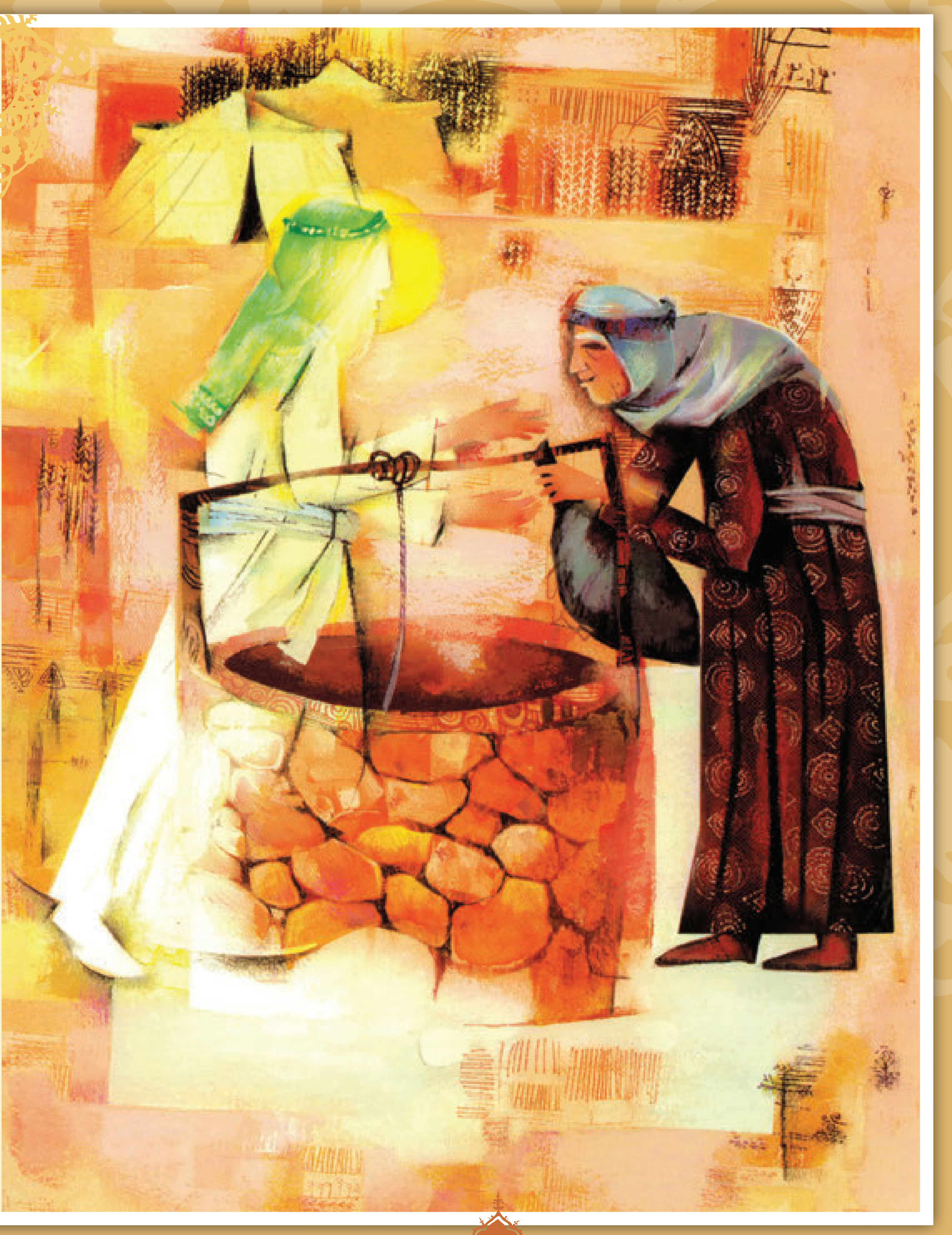
دُمُوعُ الشَّوْقِ

وصل إلى المدينة المنورة رجلٌ ممتطٍ صهوة حصانه، كان أجعد الشعر ومغبّر الثياب. لقد أمضى حياته في الصحراء، فطبعت الشمس أشعتها أثلاماً على وجهه الواسع. كانت حبيبات العرق تلمع على جواده تحت الشمس الساطعة وتنساب من بين أذنيه.

لقد أتى الى المدينة لرؤية رسول الله ﷺ. اتجه نحو مسجد المدينة، فهو يعلم أنّ منزل النبي ﷺ يقع الى جانب المسجد. شقّ الأزقة الضيقة حتى وصل الى المسجد. عقل جواده بجذع نخلة ودخل. تسمّرت عيون أصحاب النبي ﷺ بالرجل. نظر الى المسجد، كان بسيطاً، جدرانٌ من الطين وسقف من خشب النخل، مغطىً بالسعف اليابسة. كان النبي ﷺ يخطب بأصحابه، فجلس الرجل في زاويةٍ من زوايا المسجد. عندما أنهى النبي ﷺ اقترب الرجل على مهلٍ. شاهد الرجل وجه النبي ﷺ النوراني والجذّاب فشعر بقلبه ينبض بسرعة. ارتسمت بسمةٌ حُلوة على ثغر النبي ﷺ. أراد الرجل أن يفتح فمه ليتكلم ولكن لسانه لم ينطلق. قال متعلثماً وبصوتٍ يرتجف: «.. يا... يا رسول الله...»

فتح النبي ﷺ ذراعيه وأمسك بساعدي الرجل العريضين والقويّين، ثم قال: «إهدأ، فأنا لست من المستكبرين...»

ثم قال متبسّماً: «أنا ابن أمةٍ كانت تحلب الحليب بيدها. إنّي كأخوك». وتفجّرت دموع الشوق من عيني الرجل وانهمرت على خدّيه، ثم شدّ النبي ﷺ الى صدره.





قربة الماء

بعد ظهر أحد الأيام..

كانت الشَّمسُ تبتعدُ غربَ السَّماءِ مرسلةً شعاعها بكلِّ هدوءٍ. ورغم أنّه لم يتبقَّ لغروبها أكثر من ساعة؛ لكنّ حرارتها بقيت على حالها. وقفت عجوزٌ محنيّة الظهر أمام **بئرِ ماءٍ**، وسحبتِ الحبلَ لإخراجِ دلو الماء بمشقةٍ كبيرة.

اقترب عددٌ من الرجال من البئر، وقد بدا على وجوههم التي كانت ترشح عرقاً التعب والنصب بعد يومٍ طويلٍ من العمل. كانتِ العجوزُ لا تزالُ تحاولُ إخراج دلو الماء، عندما تقدّم **النبي** ﷺ من بين جمعِ الرجال نحوها، وقالَ لها بكلِّ أدبٍ واحترام:

«يا أمّاه! دعيني أساعدك»

نظرتِ العجوزُ إلى **النَّبي** ﷺ بمحبةٍ. أخذَ **رسول الله** ﷺ الحبلَ منها وأخرجَ دلوَ الماء. وأفرغَ ماء الدلو في قربةِ العجوز، ثمَّ رمى الدلو في البئر مرةً أخرى. وهكذا، ما هي إلا دقائق معدودة، حتى امتلأت قربة العجوز بالماء الصافي والبارد.

زحزحتِ العجوزُ القربةَ مسرورةً، وأقامت ظهرها بصعوبةٍ بالغة كي تضعَ القربة على كتفها. اقتربَ **النبي** ﷺ منها مرة ثانية وقال:

«أمّاه! دُلِّيني على بيتِكِ. سوفَ أحملُ لك القربة».

شكرتِ العجوزُ **النَّبي** ﷺ مرةً أخرى، وانطلقتْ على مهلٍ، محنيَّةَ الظَّهرِ. وضعَ **رسول الله** ﷺ القربةَ على عاتقِه، وانطلَقَ خلفِها. بعد لحظات، وصلا إلى خيمةِ العجوز. وضع **النَّبي** ﷺ قربة الماء على الأرض أمام الخيمة، وودّع العجوز. دخلت العجوز خيمتها. كان ولدها الذي ذهب في الصباح الباكر للعمل في الصحراء، قد رجع لتوه وقد جلس إلى جانب الخيمة متعباً، فقالت العجوز له: «اذهب وأحضر قربة الماء إلى داخل الخيمة».

خرج الولد من الخيمة، وبعد برهة عاد إلى داخل الخيمة وهو يحمل القربة، قائلاً: «أمّاه! كيف استطعت إحضار هذه القربة الثقيلة؟»

قالت العجوز: **«حضر عدة رجال إلى البئر. فملأ أحدهم ليّ القربة وحملها إلى هنا».**

خرج الشَّاب من الخيمة ورأى عدَّة رجالاً على مسافة ليست ببعيدة. ركضَ نحوهم كي يشكرهم؛ لكن عندما وصل إليهم، جمد في أرضه متعجبًّا. لقد عرفَ الشاب **النبي** ﷺ وأصحابه. رجع الشاب كي ينادي أمّه؛ لكن العجوز كانت قد أتت خلفه. قال الشَّاب لأمّه خجلاً:

«أمّاه، إنَّه نبي الله محمد ﷺ»

اغرورقت عيون الشاب والعجوز بالدموع، وبدآ يشكران **النَّبي** ﷺ مراراً وتكراراً.

قال **رسول الله** ﷺ وقد ارتسمت بسمة على شفتيه:

«إنكما لمن الشرفاء، فأنتما تشقيان كثيراً لتأمين رزقكما الحلال من طريقِه الصَّحيح، فليحفظكما الله!».



تنتمي حليمة إلى قبيلة بني سعد، إنّها امرأة حنونة ورؤوفة. لقد كانت مرضعة ومربية محمد ﷺ إلى أن بلغ الخامسة من عمره. كان لحليمة عدّة أولادٍ، شباب وبنــات. كل يــومٍ كان يأخذ أولادها الشــباب قطيع الغنم إلى المرعى في الصحراء.

ذات يوم، كان الوقتُ قريباً من الغروب، وكان محمد ﷺ جالساً لوحده بالقرب من البركة، وينظر إلى الأنحاء من حوله. كان هناك فتيات صغيرات يلعبن بين أشجار النخيل. كنّ يختبئن أحياناً وراء جذوع النخيل، وأحياناً أخرى يركضن وراء بعضهن. وصوت ضحكات وفرح الفتيات الصغيرات قد ملأ الفضاء. وهناك في تلك الأطراف، كانت النوق تتمشى وتجتر*. حان وقت الغروب، فانعكست أشعة الشمس البرتقالية من وراء أوراق النخيل الخضراء على صفحة ماء البركة.

فجأةً، التفّ صوت ثغاء الغنم في كافة أرجاء السهل، قام محمد ﷺ من مكانه مسروراً، لقد عاد إخوته من الصحراء، ركض محمد ﷺ نحوهم، خرجت حليمة أيضاً من خيمتها واتجهت لتستقبل أولادها. أخذ محمد ﷺ بأطراف ثياب حليمة، وكان ينظر بشوقٍ إلى إخوته وإلى قطيع الغنم الذي كان يصدر ثغاؤه ضجيجًا، ثمّ قـال:

«أحــبّ أن أذهب معهم. اسمحي لي أن أذهب معهم إلى الصحراء غداً».

داعبت حليمة شعر محمد ﷺ ، وقــالت: «يا بني، مازلت صغيراً على ذلك»، ولكنّ محمداً أصرّ عليها حتى رضيت أن يذهب معهم. في صباح اليوم التالي، ألبست حليمة محمداً ثياباً مناسبة، وطلبت من أولادها أن ينتبهوا له جيداً، ثم ضمّت محمداً ﷺ إلى صدرها، وقبّلت وجهه، ووضعت قلادة خشبية حول رقبته. مدّ محمد ﷺ يديه الصغيرتين نحو رقبته وانتزع القلادة، ثمّ سألها متعجباً: «لِمَ هذه القلادة؟»

نظرت حليمة إلى عينيّ محمد ﷺ الجميلتين والسائلتين، وقالت: «لتحفظك من الإصابة بالعين؛ ضعها حول رقبتك كي تحفظك ولا يحصل لك مكروه».

وضع محمد ﷺ القلادة في يديّ حليمة، نظر إليها نظرةً ذات مغزى وقال لها متبسّماً: «ولكنّها ليست إلاّ قطعة خشب. إنّ من يحفظني ويحرسني هو ذاك الذي يرافقني دائماً أينما كنت».

ثمّ اتّجه نحو إخوته وقطيع الغنم راكضاً. حدّقت حليمة به مبهوتةً متحيرةً، وقد وضعت القلادة الخشبية بين يديها.





السلام عليك

كان الطقس مشمساً. وصل رجلٌ للتو. كان وجهُهُ ورأسُه يقطران عرقاً. ثم أخذ يحدّق بالنبي محمد ﷺ!

قال له النبي ﷺ بكل لطفٍ: «السلام عليك!»

قال الرجل: «يا نبي الله! وعليك السلام»

وصل خلفه عدةٌ من الفلاحين يحملون معاولَ، كانوا ذاهبين إلى بستان النخيل.

ما إن رآهم النبي محمد ﷺ حتى قال لهم بوجهٍ بشوش: «السلام عليكم!»

فردّوا التحية: «وعليك السلام! كيف حالك؟»

قال النبي ﷺ: «الحمد لله، أنا بخير. تعالوا أقرأ عليكم هذه الآية».

تلا النبي الأكرم ﷺ آيةً على مسامعهم وقال: «وإذا حيّيتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها».

وهكذا كان النبي ﷺ دائماً يُلقي التحية والسلام قبل أن يسلّم الآخرون.

يا نبي الرحمة! السلام عليك.



الرَّحمة

كانَ الطقسُ حاراً جداً، وكانَ الرجل المسافر المتجه على حصانه نحو المدينة، يشعرُ بالعطشِ الشَّديد.

وإذا بهِ يرى من بعيد بئراً، فاتَّجهَ نحوَه، وما إن أصبحَ قريباً منه حتى سمعَ صوتاً. تقدّمَ إلى الأمام على مهل، فشاهدَ عصفورَين صغيرين لوحدهما. كانا يزقزقان في عشّيهما الواقع في فُتحة إلى جانب البئر.

حدّث الرجلُ المسافرُ نفسه قائلاً:"يا لهما من عصفورين جميلَين! الأفضل أن أحملَهُما معي وأهديهما إلى رسول الله ﷺ".

وما إن حملَ العصفورين، حتى وصلتْ أمُّهما، وهجمت على الرَّجلِ مزقزقةً بأعلى صوتها. وضَعَ الرَّجُل المسافرَ العصفورين في كيس، ثمَّ ركبَ على صهوةِ جوادِه وانطلقَ مسرعاً. فتبعتْه العصفورةُ الأم.

دخلَ الرَّجلُ المسافرُ إلى المدينةِ المنوَّرة، وفوراً ذهب لرؤيةِ النَّبي ﷺ. كان النَّبي ﷺ جالساً مع أصحابِهِ يحدّثهم عن رحمة الله سبحانَه وتعالى.

ترجَّلَ الرَّجلُ المسافرُ عن جواده، اتجه نحوَ النَّبي ﷺ وقال:"يا رسولَ الله! لقد أحضرتُ لكَ هديّةً جميلةً". ثمّ أخرَجَ العصفورين الصَّغيرين من الكيس؛ لكنّ أمَّ العصفورين رمتْ بنفسها عليهما. خافَ الرَّجلُ ووضعَ العصفورين على الأرضِ. قام النَّبي ﷺ من مكانه ونظرَ إلى العصافيرِ بكلِّ رأفة وحنان. التفتَ النَّبي ﷺ إلى أصحابه، وقال:"هل رأيتم محبَّةَ هذه العصفورة لفرخيها؟ إعلموا أنَّ محبَةَ ورحمة الله لعباده أكثر من هذه المحبة بألف مرة ".

ثمَّ تقدَّم اثنان من صحابة النَّبي ﷺ وحملا العصفورين وأمّهما وأرجعاها إلى عشّها.



كانت الشمس قابعةً في كبد السماء، تسطع بأشعّتها المحرقة على كافّة أرجاء الصحراء. وكان هناك رجلٌ راكبٌ على جمله عائداً إلى مدينته. كان متعباً ومحموماً، ولكنّه كان فرحاً من أعماق قلبه. فقد ذهب منذ أسابيع عدّة للعمل في مدينةٍ أخرى وها هو الآن يرجع إلى أسرته سالماً غانماً.

وضع يده فوق حاجبيه مظللاً عينيه وحدّق بعيداً. تراءت له بساتين النخيل وبيوت المدينة. فكّر في نفسه: **لم يبقَ إلا القليل، ساعة أخرى وأكون في المنزل.**

لكنّ جَمله كان يمشي ببطء، فهو أيضاً محمومٌ وقد تعب من طول الطريق. وكان بالقرب من تلك الأنحاء، بركة ماء صغيرة تحيطها عدّة أشجار. مسح الرجل بيده على رقبة الجمل قائلاً: **«أعلم أنك متعبٌ مثلي وظمآنُ أيضاً. الآن سنأخذ قسطاً من الرّاحة إلى جانب البركة وتحت ظلّ الأشجار».**

شدّ لجام الجمل وقاده باتجاه البركة. أناخه بالقرب منها وربط لجامه بإحدى الأشجار. غسل وجهه ورأسه بماء البركة، ضمّ يديه إحداهما إلى الأخرى وشرب عدّة جرعات. بعد ذلك، ملأ دلو الماء ووضعه أمام الجمل، ثمّ تمدّد تحت ظلّ شجرة. نظر إلى زُرقة السماء وشمسها الساطعة من بين طيّات أغصان الشجرة. لقد غمره الشوق لرؤية أسرته. أغلق عينيه بُرهة من الزمن، وفجأةً استيقظ على صوت زقزقة جميلة تشدوها فراخٌ صغيرة. كان الصوتُ يصل إلى مسامعه من بين أغصان الشجرة. فكّر في نفسه: **«من الجيّد أن أُحضر هذه الفراخ لأُعطيها لولدي الصغير. حتماً سوف يُسرّ بذلك وسيلعب بها».**

نهض من مكانه لينفّذ ما يراوده من أفكار، وصعد على مهلٍ إلى أعلى الشجرة، فوجد عشّاً صغيراً وسط الأغصان، تزقزق فيه عدة فراخ ملونة وجميلة. لم يكن هناك من أثرٍ لأمّها. مدّ الرجل يده ببطء؛ وأحضر الفراخ بكل احتياطٍ ونزل عن الشجرة، ووضعها في صندوقٍ صغير وهو يلاطفها. ازدادت زقزقتها، وبعد أن استراح لمدة، ركب على جمله وتحرك قُدماً.

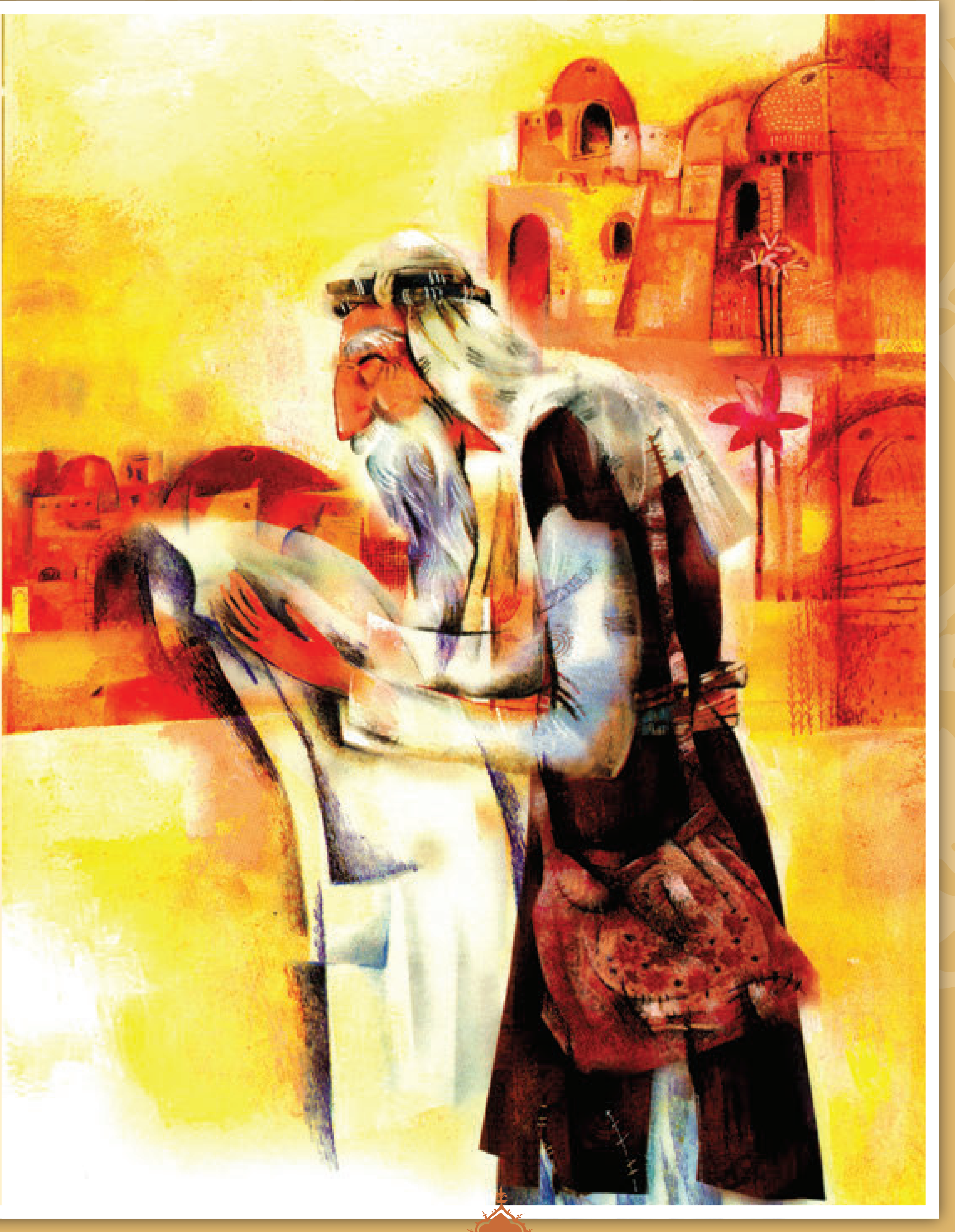
لم يكدْ يبتعد عن الشجرة كثيراً، حتى وصلت العصفورة الأمّ. كانت تحوم حول رأس الرّجل مضطربةً وهي تزقزق. تابع الرّجل طريقه ولم يلتفت إلى الأمّ. عندما اقترب من المدينة، رأى النبي ﷺ بين أشجار النخيل. نزل الرجل عن جمله واتجه نحو النبيﷺ، وألقى السلام باحترام. أمّا أمّ الفراخ فقد لحقت بالرجل، وحطّت إلى جانبهما. وكانت تقفز مراراً وتكراراً حول النبي ﷺ وتهزّ بجناحيها مزقزقة. حدّق النبي ﷺ بالأمّ بكلّ حنان وأدرك أنّ هناك أمراً ما قد حصل لها. فنظر إلى الرجل نظرةً متسائلة، حينها وجد الرّجل أنّه لا بُدّ وأن يحكي كلّ شيءٍ للنبي ﷺ.

بعد أن سمع النبي ﷺ كلام الرجل، قال ﷺ: **«هذه الأمّ جاءت خلف فراخها؛ لأنّها تُحبُّ فراخها كثيراً؛ كما تحبّ أنت ولدك، هل ترضى أنْ يُبعد أحدٌ ما ولدك عنك، وأن يأخذه إلى مكانٍ آخر»؟**

غرق الرجل في فكره للحظة، وأحسّ بالندم على ما فعله. تابع النبي ﷺ: **«إنّ الله يُحب أن نرحم كلّ الموجودات. إذا كنت تريد أن يُسرّ الله منك، عليك أن تُفرح قلب هذه الأم. لذا عليك أن تُرجع الفراخ إلى العشّ»!**

قام الرّجل من مكانه وانطلق نحو البركة والشجرة. **وطارت الأمّ فوق رأس الرجل مزقزقةً مسرورةً.**







الدَّراهِمُ المُبارَكة

لَبِسَ ذيده ماسحاً عليه. لقد ارتدى النبي ﷺ هذا القميص لمدةٍ طويلة حتّى صار باليًا، ويجب أن يشتري آخرَ جديداً. لذا أعطى علياً (عليه السلام) قليلاً من الدّراهم ليذهب إلى السوق ويشتري بها قميصاً له. ذهب عليٌّ (عليه السلام) إلى السّوق وعاد بعد قليل وقد اشترى قميصاً للنبي ﷺ.

نظر النبي ﷺ إلى القميص الجديد وقال: «جيد جداً! بكم اشتريته يا علي؟» قال علي (عليه السلام): «باثني عشرة درهماً».

أطرق النبي ﷺ مفكراً ثم قال:

«يا ليتك اشتريت قميصاً أقلّ ثمناً».

بعد ذلك، ذهب النبي ﷺ ويرافقه علي (عليه السلام) إلى السوق كي يستبدل القميص. أرجع النبي ﷺ القميص إلى البائع **واشترى قميصًا آخر بأربعة دراهم** واسترجع من البائع بقية المال.

لم تطئ قدماهما خارج السوق بعد، حتى لفت نظريهما بكاء فتاةٍ صغيرة. كانت الفتاة الصغيرة واقفة أمام السّوق وتذرف الدموع باكيةً. تقدّم النبي ﷺ نحوها وسألها بكل رأفةٍ ومحبة:

«ما الذي حصل؟ لماذا تبكين؟».

أجابته الفتاة الصغيرة، وهي باكية: «لقد أعطاني سيدي اليوم صباحاً أربعة دراهم، كي أشتري له بعض الأشياء؛ ولكنّي أضعتها».

فأعطى النبي ﷺ أربعة دراهم للفتاة الصغيرة. فرحت الفتاة الصغيرة وأخذت المال وشكرت رسول الله ﷺ.

خرج النبي ﷺ وعلي (عليه السلام) من السوق. فجأة، رأيا رجلاً عجوزاً يرتدي ثياباً ممزّقة. تقدّم الرجل العجوز من النبي ﷺ وقال: «إنّي فقير وعاجز، أعطني ثياباً أرتديها».

رقّ قلب النبي ﷺ لأجل الرجل العجوز الفقير. خلع ﷺ القميص الذي اشتراه حديثاً وقدّمه للرجل العجوز. ثم عاد النبي ﷺ إلى السّوق **واشترى قميصاً آخر بأربعة دراهم.**

وفي طريق العودة من السوق، رأى النبي ﷺ وعلي (عليه السلام) تلك الفتاة الصغيرة باكيةً وقلقة. سألها النبي ﷺ متعجّباً: **«لماذا تبكين ثانيةً؟!».**

أشارت الفتاة الصغيرة إلى الأغراض التّي كانت تحملها وقالت: «لقد اشتريتُ أغراضاً بالأربعة دراهم التي أعطيتنيها، ولكنّي الآن وقد تأخرت في الرجوع إلى المنزل، أخاف أن يوبخني سيّدي بسبب تأخّري».

أخذ النبي ﷺ بيد الفتاة واتجه مع علي (عليه السلام) إلى منزل سيّدها. عندما فتح سيد الفتاة باب المنزل، تعجّب لرؤية النبي ﷺ وعلي (عليه السلام). قال النبي ﷺ: **«يا أيّها الرّجل، لقد تأخّرت هذه الفتاة الصغيرة في الرجوع إلى المنزل باكراً. أردتُ أن تسامحها لأجلي وأن لا توبخها».**

أمسك الرجل بكل احترام يد النبي ﷺ وقبّلها وقال: **«يا رسول الله، سوف أعتقها لأجلك».**

لمعت عينا الفتاة الصّغيرة فرحاً. وعندما عاد النبي ﷺ وعلي (عليه السلام) إلى المنزل، قال علي (عليه السلام):

«يا رسول الله، كم كانت تلك الاثنا عشرة درهماً مليئةً بالبركة! فبهذه الدراهم المعدودة، كَسَتْ رَجُلَين وأَعتَقت فتاةً صغيرةً خادمة».



لباس الغرور

كان الوقت يقترب من الظّهر، والنبيّ ﷺ جالسٌ مع عددٍ من النّاس في المسجد. تتوسط باحة المسجد بركة ماء صغيرة، وعدّة أشجار نخيل. كانت حبّات الرّطب السّوداء والحلوة تلمع تحت أشعة الشمس. أمّا أغصان النّخيل الكثيفة فقد شكّلت ملجأً لتحتمي العصافير في ظلّها.

وصل رجلٌ عجوزٌ فقير إلى هناك مثل كلّ يوم. كان محنيّ الظّهر، ويرتدي ثياباً قديمة ومرقّعة، لكنّها نظيفة ومرتبة. مرّ الرجل العجوز من أمام الأشجار، ودخل المسجد. كان النبيّ ﷺ مقبلاً على من حوله بوجهه البشوش النورانيّ، ويتحدّث معهم. نظر الرّجل العجوز إلى الجمع كي يجد مكاناً يجلس فيه، فوجد مكاناً خالياً إلى جانب رجلٍ يرتدي ثياباً جميلةً وغالية الثّمن. تقدّم العجوز وجلس على مهلٍ إلى جانب ذلك الرجل. رمق الرجل الغني الرجل العجوز بطرف عينه، ثمّ نأى بنفسه جانباً، وجمع أطراف ثيابه، ووضعها على فخذيه.



انتبه النبيّ ﷺ إلى طريقة تصرّف الرّجل الغنيّ، وأدرك أنّه أزاح نفسه متعمّداً، كي لا تحتكّ ثياب الرّجل الفقير بثيابه. نظر النبيّ ﷺ إلى وجه الرّجل العجوز الفقير، فوجد الغصّة والحزن تعلوانه. انزعج النبيّ ﷺ من تصرّف الرّجل الغنيّ، فالتفت إليه النبيّ وسأله: «أجزعت أن يلحقك شيىء من فقر هذا الرجل!»

ارتبك الرّجل، وقال: «كلّا، كلّا، يا نبيّ الله».

قال النبيّ ﷺ: «لعلّك خفت أن يصل إليه شيىء من ثروتك!»

قال الرّجل: «كلّا، أقسم بالله».

سأله النبيّ ﷺ: «أخشيت أن تتّسخ ثيابك الثّمينة!»

قال الرّجل متمتماً خجلاً: «كلّا».

قال النبيّ ﷺ: «إذاً لماذا نظرت إليه هكذا، ونأيت بنفسك جانباً!»

طأطأ الرجل رأسه من شدّة الخجل، ولم ينطق ببنت شفة. ساد الصّمت للحظاتٍ، ثمّ رفع الرّجل الغنيّ رأسه على مهلٍ، وقال بصوتٍ مرتجف: «يا رسول الله، لقد أخطأت؛ إنّي أعتذر من هذا الرّجل، وأنا مستعدٌ لأن أعوّض عن خطئي ومعصيتي، لذا سوف أهبه نصف ثروتي».

نظر النبيّ ﷺ إلى العجوز الفقير. كان الحزن والانزعاج مازالا باديين على وجهه. قال العجوز بكلّ قوة: «أبداً، كلّا، أنا لا أريد ثروتك أبداً».

تعجّب النّاس من كلام الرّجل العجوز، وأخذوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً، وارتفعت همهماتهم.

- يا أيّها العجوز، لماذا لا تريدها!

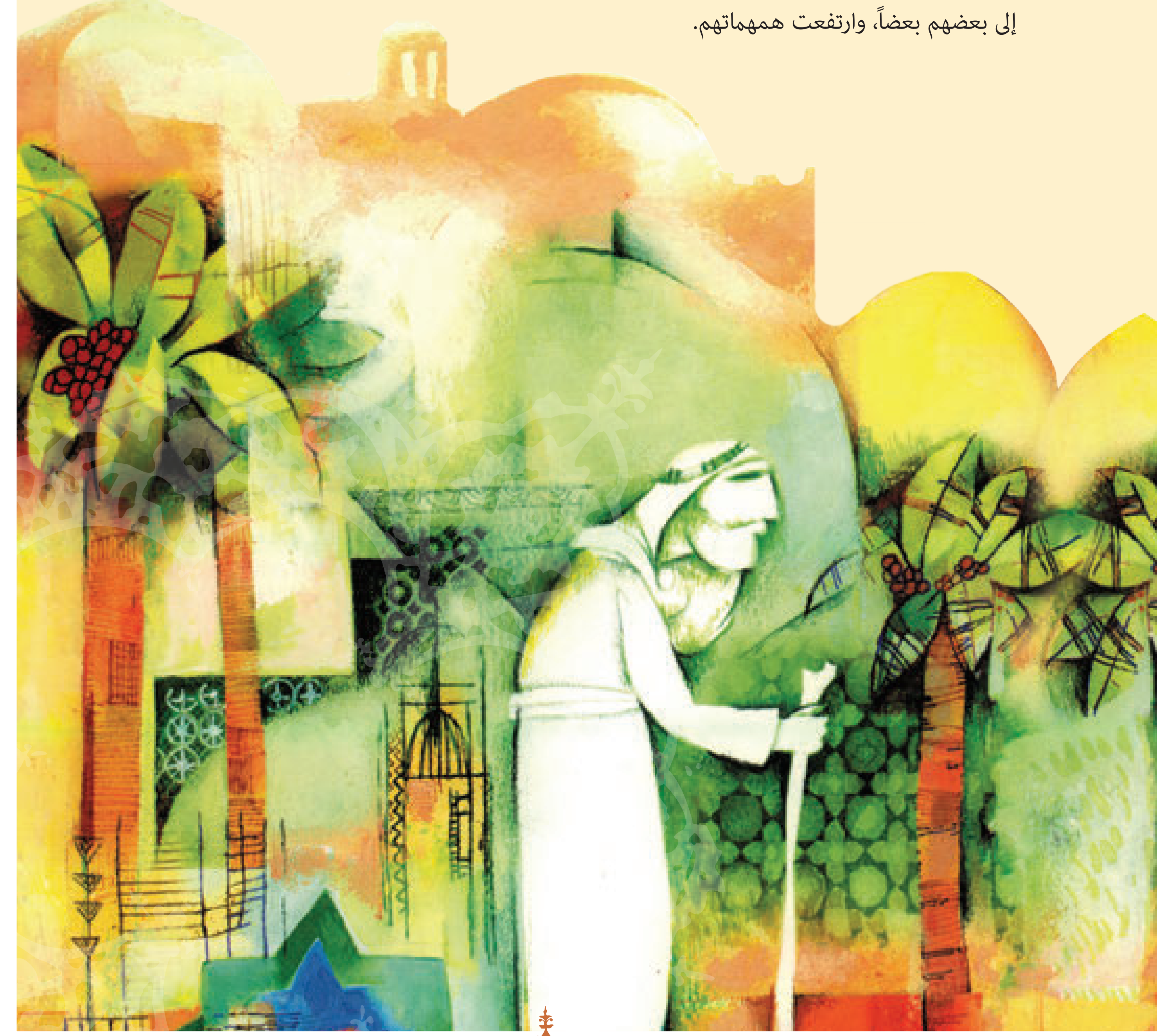
- كلّ هذه الثروة!

- كيف ترفض كلّ هذه الثروة!

هزّ العجوز الفقير رأسه، وقال:

«أخشى أن أصبح مع كلّ هذه الثّروة والمال، مغروراً وأنانياً، وأن يأتي يومٌ -لا قدّر الله- أتصرّف فيه مع إنسانٍ آخر كما تصرّف معي اليوم هذا الرّجل الغنيّ».

عندما أنهى الرّجل العجوز كلامه، أطرق الجميع يفكرون فيما قال، وخيّم الصمت على المكان.



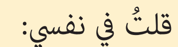


كُنَّا في ذلك اليوم نتمشى مع النبي ﷺ وأصحابه. رأيت من البعيد شيئاً؛ عين الصيّاد حادّة.

يبدو أنّي رأيت ظلاً تحت الشجرة.

تقدّمنا قليلاً إلى الأمام، رأيت شيئاً لونه أصفر ترابي. كنت أعلم أنّ قطيع الغزلان يأتي إلى المزارع القريبة من القرى عند مغيب الشمس. ما إن تقدّمنا أكثر، حتى رأيتُ رأس غزالٍ.

كان الغزال نائماً وقد فتح فاه وأغلق عينيه.



قلتُ في نفسي:

"سأصطاد الغزال، وأدعو النبي ﷺ وأصحابه إلى طعام لذيذ. فلحم الغزال لذيذ جداً، كما أنّي أستطيع استخدام جلده في صناعة أيّ شيءٍ أريده.

أشرتُ إلى رفاقي أن يلزموا الصمت.

وقف الجميع وسكتوا.

ثم دللتُ النبي ﷺ حيثُ يغطّ الغزال في نومه.

كان الغزال نائماً.

تقدّمتُ على مهلٍ وأردتُ إطلاق السهم من قوسي.

لكن!

أمسك النبي ﷺ يدي دون إصدار أيّ صوت. وأشار للجميع أن يبقوا صامتين. لكن ليس لأستطيع اصطياد الغزال.

قال النبي ﷺ بهدوء: **لا**

ينبغي لأحدٍ منكم أن يُفسد على هذا الغزال نومته.

قلتُ بصوتٍ خافت: **نومة الغزال؟!**

وبقي فمي مفتوحاً... جحظت عيناي من حدقتيهما. في الواقع، خجلت من النبي ﷺ. لقد جعل النبي ﷺ الجميع يمرّوا أمام الغزال دون أي يُصدروا أيّ جلبةٍ أو صوت.

لم يرد النبي ﷺ أن يُضايق أحدٌ منّا الغزال في نومه.

كم أنت رؤوف يا نبي الله!

الحادثة العظيمة

أنهى النبيّ ﷺ حجّه، وتحرّك والحجيج في الساعات الأخيرة من الليلة الرابعة عشرة من ذي الحجة نحو المدينة المنورة. وسلك النبيّ ﷺ سبيلاً إلى المدينة غير الذي أتى منه، فهذه كانت عادته الدائمة. إذ كان يسلك طريقاً في ذهابه إلى مدينةٍ أو ناحيةٍ، ويرجع من طريقٍ أخرى. لعلّه كان يريد من عمله هذا رؤية عددٍ أكبر من الناس، والاطّلاع على أحوالهم، وما يجري عليهم.

منذ اليوم الرابع عشر إلى السابع عشر من ذي الحجة، كان لا يزال النبيّ ﷺ والمسلمون يسلكون طريق المدينة، إلى أن وصلت القافلة إلى الجحفة عند طلوع صبح اليوم الثامن عشر. عند الجحفة، كان يوجد بركةٌ مليئة بالمياه، يُقال لها غدير خمّ. نزل الذين كانوا يتقدمون القافلة إلى جانب البركة، وركض المترجّلون نحوها كي يُلقوا بالماء على رؤوسهم ووجوههم.

كان الغدير محلّ افتراق أربعة سبلٍ أصلية في الحجاز. فهذا المكان كان طريقاً لعبور القوافل الكبيرة والمهمّة وأيضاً كان محلّ افتراقها عن بعضها بعضًا. أما هذه السّبل الأصليّة فهي: مصر، العراق، المدينة، ونجد. وهكذا، كان يتوافد الحجيج على البركة مجموعاتٍ مجموعاتٍ، ويتبادلون الورود عليها. عندما وصل النبي ﷺ إلى البركة، توقف عندها. بدت عليه حالةٌ عجيبة؛ لقد نزل جبرائيل برسالةٍ مهمّةٍ إلى النبيّ ﷺ من قِبل الله سبحانه وتعالى. صاح عدّةٌ من الرجال: «توقّفوا بأمرٍ من رسول الله ﷺ». ارتفعت همهمةٌ بين المسلمين، وصهلت الأحصنة، وعجّت الجمال، وتصاعد الغبار من الصحراء. توجّه المسلمون من بعيدٍ وقريبٍ نحو البركة. وانطلقت مجموعةٌ على أحصنتهم نحو مسير المدينة كي يُرجعوا من كان قد تقدّم على القافلة. فهنالك خبرٌ مهمٌّ يريد النبي ﷺ إبلاغه للجميع.

في النهاية، اجتمع الحجيج حول البركة. كان الوقت ظهراً، والشمس تسكب حرارتها على رؤوسهم ووجوههم بشدّة، والأرض لم تترك أقدامهم بأمانٍ، وكأنّها تُحرقهم، ما اضطر الحجيج أن يُلقوا طرفاً من عباءاتهم على وجوههم، والطرف الآخر تحت أقدامهم. قام عددٌ من الشبّان بوضع رُحل الجمال فوق بعضها بعضًا. صعد النبيّ ﷺ بهدوءٍ على رحل الجمال، ونادى عليّاً من هناك.

يا عليّ، اصعد أنت أيضاً!

التفت الذين كانوا في الصفوف الأولى إلى عليّ: سلمان، عمر، المقداد، عثمان، أبو بكر و...

لماذا يا ترى؟!

صعد عليٌّ الرّحل، ووقف إلى يمين النبيّ ﷺ. انحبست الأنفاس في الصدور. عندما فتح النبي ﷺ ثغره ليتكلّم، كانت الصّحراء كأنّها تسمع صوته أيضاً. حمد الله وأثنى عليه، ثم بدأ خطبته:

- يا أيّها النّاس...

انتشرت همهمةٌ خفيفة بين الجموع الغفيرة. قال عدّةٌ من الناس: «نشهد»

- أتشهدون أنّه لا إله الا الله، وأنّ محمداً عبده رسول الله؟

- نشهد بذلك.

- إلهي، فاشهد.

ثمّ خاطب الجموع الحائرة قائلاً: «يا أيّها النّاس أتسمعون صوتي؟»

ارتفعت الأصوات من أربع جهاتٍ: «بلى، بلى يا رسول الله».



- «ألا وإنّي قد تركت فيكم أمرين، إنْ أخذتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما فقد هلك. ألا هل بلّغت؟

- قالوا: نعم.

خيّم صمتٌ مهيبٌ على الجموع، لم ينطق أحدٌ بأيّ شيءٍ، وكأنّ شفاههم قد خيطت. نسي الحجيج حرّ الصحراء ولهيب الشمس. ما هذا الذي يسمعونه؟ وإذ بالنبيّ ﷺ يرفع يد عليٍّ إلى فوق رأسه، ويصبر لحظاتٍ قليلة. كان الجميع يحدّق بهما جيداً.

- يا أيّها الناس، من منكم أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قال البعض: «الله ورسوله أعلم!».

تابع رسول الله ﷺ بطمأنينةٍ ووجهٍ يبعث الضياء...

كرّر رسول الله ﷺ هذه الجملة ثلاث مرّات. اكتفت الجموع بفتح أفواهها وجحوظ أعينها، وكأنّها لم تستطع إخراج أنفاسها من صدورها.

«اللهم من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ، والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله... يا أيّها النّاس، فليُسمع الحاضر مقولتي للغائب...».

بعد ذلك أنزل النبيّ ﷺ يد عليٍّ. وبعد برهة، التفت إلى الجموع، وتلا آيةً قد نزلت جديداً: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾.

نزل النبيّ ﷺ وعليٌّ عن الرحل. كان لا يزال صمتٌ ثقيلٌ يموج في عيون الحاضرين. عندها قام حسان بن ثابت شاعر النبيّ ﷺ، وتلا شعراً جميلاً حول اختيار عليّ للخلافة.

ثمّ تقدّم أبو بكرٍ خطوةً عن الجميع، وهنّأ عليًّا بالخلافة، ثمّ تبعه عمرٌ وعثمانٌ وطلحة والزبير وبايعوا عليّاً والنبيّ ﷺ. وفجأةً، تهاوى النّاس من كلّ حدبٍ وصوبٍ لمبايعة عليّ. كادت القلوب تطير من مكانها. وامتدّت الأيدي نحو عليٍّ كالحمائم البيضاء.

قال عمر لعليٍّ: «بخٍ بخٍ لك يا عليّ؛ لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنة».

كان غروب شمس انفصال النبيّ ﷺ عن القوافل قد بدأ يقترب. عندها تذكّر الكثير من الآتين من العراق، مصر ونجد، أنّه ربما لن يروا النبيّ ﷺ بعد الآن. فظلّل غمٌّ وحزنٌ العيون الناظرة إليه عندما حان وقت انطلاق أهل المدينة مع النبيّ ﷺ نحو المدينة.

وصلت قافلة المدينة إلى ذي الحليفة عند وقت العشاء من اليوم الثالث والعشرين لذي الحجة. بات الحجيج ليلتهم هناك، وتابعوا مسيرهم نحو المدينة عند الصباح.

كانت المدينة تنتظر خطوات الحجيج الذين أحضروا معهم هديةً كبيرة بعد أن حجّوا الحجّ الأكبر برفقة النبيّ ﷺ. بدأت رؤوس أشجار النخيل وجدران المدينة البيضاء تظهر شيئاً فشيئاً. أسرعت الجمال والأحصنة في خطواتها وحتى المترجّلون. كبّر النبيّ ﷺ ثلاث مرّاتٍ بصوتٍ مرتفع. فبعد مُضي شهرٍ كاملٍ، ها هي المدينة تفتح ذراعيها له ولمن معه. تقدّم مجموعة من الفرسان من ناحية المدينة لاستقبالهم. أحدهم أبو دجانة الأنصاري الذي بقي طوال هذه المدّة في المدينة بأمرٍ من النبيّ ﷺ لكي يمسك بزمام أمورها بشكلٍ مؤقّت. اقترب الفرسان من القافلة، وارتسمت على شفتي النبيّ ﷺ بسمةٌ رقيقةٌ، وداعب نسيم المدينة العليل وجهه ورأسه. عجّت الجمال وأسرعت من خطواتها. وفتح أبو دجانه ذراعيه مستقبلاً النبيّ ﷺ.


تَكلَّم عن السماء
قصّة بعثة النبي صلى الله عليه وآله



كان الطقس حاراً جداً، والعطش يسيطر على الصحراء والبساتين والنخيل، حدّقنا في السماء على أمل نزول قطرة ماءٍ، أمّا الأحصنة والجِمال والخراف فكانت مضطربة من شدّة ظمئها تفتش في الأرض لعلّه يتفجّر نبعٌ أو تجري ساقية.
ومضت أيامٌ صعبة على أكثر الناس، لم يوجد شيء لتناوله، وإن وُجد فلم يكن يُشبِعنا، وفي ظلّ تلك الأيام كانت ظروف محمد كظروفنا، ولكنّه كان ينظر لمن هو أسوأ حالاً منه كحال عمّه أبي طالب فأُسرته كبيرة وبالكاد يؤمّن لها الطعام، لقد ارتحلت والدة محمدٍ وجدّه عن هذه الدنيا عندما كان صغيراً، فتعهد بتربيته عمّه أبو طالب وكان يعاملُه بكل رأفةٍ وحنان ولم يُفرّق بينه وبين أبنائه، ومحمد لم ينسَ ذلك وكان قلقاً عليه، لذلك ذهب عند عمّه العباس وأخبره عن وضع أبي طالب فقال له: «إنّ أخاك أبا طالب صاحب أُسرةٍ كبيرة، وكما ترى لقد حلّ القحط، تعالَ نُخفف عنّه حمل الحياة الثقيل، وليأخذ كلُّ واحدٍ منّا ولداً من أولاده ليتعهده»
قبِل العباس وانطلقا إلى منزل أبي طالب الذي شعر قلبه بدفء هذه اللفتة والمحبة وقَبِل ما عُرض عليه، فاختار محمدٌ ولداً لم يتجاوز سنواته الستّ، صاحب عينين مشرقتين؛ يُدعى عليّاً. أمّا العباس فقد اختار ولداً آخراً يُدعى جعفراً، وكان ودوداً وبسّاماً.
أمسك محمدٌ بيدي عليّ وأخذه إلى منزله. فرحت خديجة زوجة محمد كثيراً عندما رأت عليّاً وأحسنت استقباله. وهكذا بمجيء عليّ أصبح منزل محمدٍ أكثر نشاطاً وفرحاً.

وذات يوم ودّع محمدٌ أهل بيته وخرج من المنزل إلى غار صغير وسط جبلٍ كبيرٍ اعتاد على آثار أقدامه؛ إنّه غار حراء. عندما وصل محمدٌ إلى الجبل، نظر إلى عُلوّه، ثمّ صعده وجلس عند باب الغار ينظر إلى الأفق البعيد، لحظاتٍ قليلة وتغرب الشمس ويغرق الجبل كافة في العتمة. أخذ يفكّر في الشمس والقمر والليل والنهار وأنّها لا تملك اختيارها بنفسها، إذاً لا بدّ أنّ هناك خالقاً أوجدها.

غرقت الشمس في أفقٍ أحمرَ قانٍ، وخيّمت العتمة. كان محمدٌ يحبّ أن يبتعد عن الضوضاء، عن معاصي النّاس، عن حروبهم وجدالهم وسفكهم للدماء بلا سبب، وعن قطّاع الطرق وتكديس الثروات عبر الطرق غير الصحيحة، ليأنس باللجوء إلى أعلى الجبل الذي حفظ طرقه ومنعطفاته.
حلّ منتصف الليل ومحمد يفكّر بالظلم الذي يُلحقه الآباء بحق بناتهم وكيف يئدونهنّ حيّات، كانت روحه تتألم بمجرد تذكّر تلك الأمور.
طلعت الشمس ولا زال محمد مستيقظاً؛ مستيقظاً ووجوده كالطبيعة، كبياض الصبح يشعّ ضياءً وطهارةً.

ها هو محمدٌ يرجع إلى مكة. أراد أن يطوف حول الكعبة كما كان يفعل كلّ سنة، وإذ بصبيٍّ يركض نحوه. إنّه علي يتجه نحوه فيرمي بنفسه في حجره الذي يفيض بالمحبة، قال محمد لعلي: «تعال نطف حول الكعبة، ومن ثمّ نذهب إلى المنزل»



مضت سنواتٌ عدّة ومحمّد يذهب إلى الغار يتفكر ويتأمل في المخلوقات. وفي يوم كان قد تعب من بقائه مستيقظاً وهو يتفكّر حتى غلبه النعاس في الغار نهاراً. هبّ نسيمٌ لطيفٌ وانتبه محمد من نومه فرأى الغار يشعُّ ضياءً وكأنّ أحداً معه في الغار. لم تكن تلك المرة الأولى التي يشعر فيها بوجودٍ أحدٍ بقربه. لقد شعر بذلك مراتٍ عدة في المنزل وفي غار حراء، أراد الخلود إلى النوم وتناسي حضور الشخص غير المرئي، ولكنّه وقف دفعةً واحدة في مكانه، كان يقف أمامه ملاك جميلٌ ذو جلال، قال الملاك بصوته السماوي: «اقرأ يا محمد! إقرأ»

أجابه محمد وهو يترشح عرقاً ويتنفس بسرعة: «ما أنا بقارىء»

قال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق}

وهكذا قرأ محمدٌ. تركه الملاك وإذ بطمأنينةٍ وسكينةٍ عجيبة قد شملت كل وجوده، أحسّ وكأنّ هناك كتاباً قد أُلقيَ في قلبه، كتابٌ مليءٌ بالألفاظ والكلمات الحلوة والجميلة، مليءٌ بالقصص والمواعظ والحكم والأمثال، مليءٌ بالآداب الحسنة والأعمال الصالحة في الحياة!

ثم ساد الصمت والسكون، صمتٌ وتحولٌ عجيبٌ داخل محمد، قام وخرج من الغار نحو المنزل وقلبه يفيض بكلام الملاك.

وفي منتصف الطريق، سمع صوتاً مرةً أخرى: «يا محمد، إنّك رسول الله وأنا جبرائيل»

نظر محمدٌ حوله وفي السماء باحثاً عن الصوت وإذ به يرى جبرائيل على صورة رجلٍ عظيمٍ وذي جلالٍ يقف في الأفق.

كرّر جبرائيل كلامه مرةً أخرى: «إنّك رسول الله وأنا جبرائيل»

حدّق محمدٌ به، تسمّر مكانه، تلفّت فلم يرَ سوى جبرائيل، فقط جبرائيل.

وصل إلى منزله، وما إن رأته خديجة حتى أدركت أنّ شيئاً ما قد حدث، كان وجهه يشعّ نوراً وضياءً، وكأنّ القمر قد زار خديجة، فقالت: «محمد، ما هذا النور الذي أراه في وجهك؟ وجهك كثير النور والضياء!»

أجابها: «هذا نور النبوة»، وقصّ لها محمدٌ ما جرى معه.

سكتت هُنيهة، ثمّ ارتسمت الابتسامة على وجهها.

قال محمد: «قولي لا إله إلا الله، محمد رسول الله»

فأعلنت خديجة إيمانها بوحدانية الله ونبوة محمد، ونطقت بالشهادتين دون أيّ تردد. وهكذا نالت مقام أولى المسلمين من النّساء.

كان محمدٌ يمضي أكثر أوقاته في التفكير والتأمل، يفكّر بما حصل له في غار حراء، وعليّ لا يعلم سبب هذا الصمت والسكون. وبعد مُضي أيام عدّة، روى النبي محمد ﷺ لعليٍّ ما جرى عليه في الغار، استمع عليّ لكلام النبي ﷺ ثمّ غرق يفكّر، قال له محمد: «آمِن يا علي، آمِن بالله الواحد وقل لا إله إلا الله، محمدٌ رسول الله»

كان عليّ يرافق النبي ﷺ إلى كل مكان، وهو الأعلم بأخلاق محمد وطباعه، وهو الذي تربى وكبر عنده، لذلك فقد أسرع في إعلان إيمانه بمحمدٍ وبإشهار إسلامه وهكذا نال مقام أوّل المسلمين من الرجال.

عندما عرفت خديجة بإسلام عليّ، فرحت كثيراً وقالت: «الآن قد أصبحنا شخصين، نحن أمة محمد، أمةٌ من شخصين!»

كان محمدٌ أحياناً يأخذ معه علياً إلى الجبال والوديان المحيطة بمكّة لإقامة الصلاة، كانا يقفان للصلاة بعيداً عن أعين الآخرين، ومن ثم يرجعان إلى المنزل عند غروب الشمس. مرةً، رأى أبو طالب محمداً وعليّاً يبتعدان عن المدينة. فظنّ أنهما يريدان الذهاب للنزهة والترفيه وتمضية الوقت، لكن عندما رآهما يبتعدان مرةً ثانيةً، انطلق خلفهما دون أن يشعرا به. وما هي إلا لحظاتٌ قليلة، وإذ به يراهما قائمين يصلّيان. توقف وأخذ يحدّق بهما. ثم سأل محمداً:



«ماذا تفعلان؟ وما هذا الدين الذي أنت عليه؟».
لم يكن محمدٌ قد أنهى صلاته بعد، لذلك لم يكن يستطيع الاجابة عن سؤال أبي طالبٍ، عندما أنهى محمدٌ ﷺ صلاته، أجاب: «نصلي لله على دين الإسلام. فديني، دين الله دين أبينا ابراهيم».
قال أبو طالب متعجباً: «أجئت بدينٍ جديد؟ ألا تعتقد بدين قومك وقبيلتك؟».
قصّ النبي محمدٌ على عمّه القصة كلّها فقال أبو طالب وعيناه تشعّان رضىً: «لا بأس بالذي تقومان به». ثم قال لابنه علي: «يا علي الزم ابن عمّك، انّه يدعوك للخير».
قال النبي محمدٌ ﷺ: «إنّك أكثر شخصٌ يستحق أن يكون مسلماً يا عمّاه، إنّي أدعوك إلى الإسلام وأتمنى أن تنصرني في طريقي المليء بالمخاطر الذي أنا مُقبل عليه... إنّي أدعوك إلى هذا الدين يا عمّاه!».
قال وقد لمعت عيناه شوقاً: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله. يا ابن أخي، لن أسمح بأن يصيبك مكروه ما دمت حيّاً».

مرّت ثلاث سنوات على دعوة الناس السرية إلى الإسلام وأسلم عددٌ كبيرٌ، وفي يومٍ نزل جبرائيل على رسول الله وقال: {وأنذر عشيرتك الأقربين}
أطرق النبي مفكّراً: كيف سيدعو أقرباءه إلى دين الإسلام أمثال أعمامه أبي لهب، العباس، الحمزة؟ فإنهم لن يقبلوا كلامه وسوف يؤذونه، ولكن نزل جبرائيل مؤكّداً عليه ﷺ أن يدعو عشيرته الأقربين فنادى ﷺ عليّاً قائلاً: «لقد أمرني الله أن أدعو أقربائي إلى دين الإسلام، لذا، اصنع رِجْلَ شاةٍ، ومدّ حنطةٍ وأحضر قدحاً كبيراً من اللبن وأدعو كلّ أقربائي إلى طعامٍ كي أتكلم معهم وأوضّح لهم دين الله»
كان كلُّ شيءٍ حاضراً يوم الدعوة، وكان المدعوون أربعين شخصاً على رأسهم أعمام رسول الله ﷺ. أبو طالب، الحمزة، العباس، وأبو لهب.
عندما حان وقت طعام الغداء، أحضر عليٌّ الطعام ووضعه أمام رسول الله ﷺ، وضع رسول الله يده في الطعام وقطّع اللحم قطعاً قطعاً ووزّعها على الحاضرين وقال: «كلوا باسم الله».
بدأ الضيوف بتناول الطعام، أربعون ضيفاً ورجل شاةٍ واحدة! أربعون ضيفاً وكأس لبنٍ واحد! لكن يا للعجب لقد أكل الجميع حتى الشبع والارتواء وبقي الطعام وكأنّه لم يُمس. بعد الانتهاء أراد رسول الله ﷺ التحدّث لكنّ أبا لهب استبقه وبادر الحاضرين قائلاً: «لو لم تستدلوا على سحر صاحبكم إلا بما رأيتموه في صنع هذا الطعام واللبن لكفاكم» ضحك الجميع وقاموا من مكانهم ورجعوا إلى منازلهم. ولم يبقَ سوى النبي ﷺ وعليّ!
نظر ﷺ إلى عليّ وقال محزوناً: «أرأيت يا عليّ؟ قبل أن أتفوّه بكلمةٍ، تكلم أبو لهب وفرّق الجميع، أدعُ الى الطعام غداً مرةً أخرى»
في اليوم التالي، أُعدّت المائدة ولم يكن سوى رجل شاةٍ وقدحٍ من اللبنٍ!
وبعد أن أكل الجميع وشبعوا، وشربوا وارتووا، قال رسول الله ﷺ: « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بمثل ما جئتكم به، لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ولقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه فأطيعوني تنجوا من النار وتكونوا ملوك الأرض، فأيكم يؤازرني على أمري أن يكون أخي ووصيي ووليي وخليفتي فيكم»
فامتنع القوم عن جوابه وظلّوا صامتين. أدار عينيه نحو الجميع فكان بعضهم غارقاً في التفكير، وارتسمت بسمة استهزاءٍ على شفاه بعضهم الآخر، فلما رأى علي ذلك - وهو يومئذ أحدثهم سناً -، قال: «يا رسول الله أنا أكون وزيرك على أمرك»
تبسّم رسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد عليّ وقال: «هذا أخي ووصيي ووليّ وخليفتي فيكم، فاسمعوا وأطيعوا له».



وفجأةً بدأ الجميع بالضحك دُفعةً واحدة، فقال أبو لهب إلى أبي طالب ساخراً: «هههه، قد أمرك ابن أخيك أن تسمع لابنك وتطيعه». وهكذا كانت بداية أذية واستهزاء أبي لهب.

الفقراء والمساكين، العبيد والإماء الذين أُعتقوا من العبودية، والذين لا يملكون منزلاً يأوون إليه أو طعاماً يأكلونه كانوا أوّل المسلمين. لكن بعد مُضي مدّةٍ من الزمن، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله أن يدعو كافة الناس ووجهاء مكّة وأشرافها إلى الإسلام، وأن لا يخشاهم.
لذلك، توجّه رسول الله ﷺ نحو جبل الصفا، وكان عليّ إلى جانبه وانطلق خلفهم أكثر من أربعين رجلاً مسلماً. صعد رسول الله إلى أعلى الجبل وصاح بأعلى صوته: «يا أيّها الناس»
في تلك الأيام، إذا أراد أحدٌ الإعلان عن شيءٍ مهمٍ، كان يصعد إلى أعلى الصفا ويدعو الناس ليستمعوا مقولته. صاح رسول الله ثانيةً: «يا أيها الناس»
كان المسلمون واقفين على سفح الجبل، ينظرون إلى الناس الذين بدؤوا يتجمّعون شيئاً فشيئاً، كان أكثرهم من أغنياء وأشراف مكة، كذلك جاء أبو لهب، أتى وقد ارتسمت على شفتيه بسمة استهزاءٍ ووقف في مكانٍ يرى منه محمداً ﷺ بشكلٍ جيد.
سأل أحدهم رسول الله على عجلةٍ: «ما الذي حصل؟ لماذا جمعتنا هنا؟»
نظر إليه رسول الله ﷺ، ثم التفت إلى الجمع وقال: «إذا أخبرتكم أنّ وراء هذا الجبل جيشاً يريد الانقضاض عليكم، فهل تصدقونني؟» .
قال الناس: «نعم، نصدقك».
فقال ذلك الرجل متلهفاً: «نحن لم نسمعك تكذب أبداً فأنت الصادق الأمين».
عندها نادى رسول الله قبائل مكّة بأسمائها وقال: «يا أيها الناس لا أريد منكم سوى أن تقولوا لا إله إلا الله».
وقبل أن يتفوّه أحدٌ بكلمةٍ واحدة، صاح أبو لهب: «ألهذا جمعتنا هنا؟»
ثم أدار ظهره وذهب، ضَحِك النّاس وتفرّقوا. ولم يبقَ سوى المسلمين. إنّ أمام رسول الله ﷺ طريقاً صعبة قبل أن يجعل وجهاء قريش ومكة يُشهرون إسلامهم.
تفرّق الناس لكنّه ﷺ لم ييأس ولم يتراجع عن دعوته للإسلام، كان يذهب كل يومٍ إلى بيوت الناس ويدعوهم للإسلام كي يُفلحوا. لم يكن ﷺ وحده أبداً. فعليّ بن أبي طالب كان يأتي معه وأحياناً أخرى يرافقه بعض المسلمين. وعندما كان رسول الله ﷺ يخرج من منزله يتبعه أبو لهبٍ فينثر التراب على رأسه ويقول للناس: «انتبهوا من هذا الرجل، فهو يريد أن يُبعدكم عن دينكم ودين آبائكم، انتبهوا منه».
يوماً، نقل عليّ لأبي طالبٍ ما يفعله أبو لهبٍ بالنبي ﷺ، فغضب وذهب لأبي لهبٍ قائلاً: «لماذا تُؤذي محمداً؟ لماذا تشتمه؟ لماذا ترمي بالنفايات أمام منزله؟ فهو ابن أخيك؛ ابن عبد الله».
تظاهر أبو لهبٍ بالرقة والرأفة وقال: «أنا أحبّ محمداً كما أحبّ أولادي، أريد أن أقف بوجهه قبل أن يقف بوجهه أغنياء مكة، إذا طلب الآخرون أخذه وأنت سلّمتهم إيّاه، ستكون قد عرّضت نفسك للذلّ والهوان، وإذا أردت الدفاع عنه، فربما تُقتل أو تشتعل حرب ضروس».
كان أبو طالب يعلم أنّ أبا لهبٍ يكذب وأنّه لا يفكر في مصلحة ابن أخيه لذلك قال: «اسمع، طالما أنا على قيد الحياة، سوف أبقى أدافع عنه وأحميه ولن أدع أحداً يؤذيه».

وفي يومٍ، أرسل أبو طالب عليّاً وراء محمدٍ ﷺ فجاء ﷺ. أخبر أبو طالب محمداً ﷺ أنّ وجهاء مكة غاضبون ويتحيّنون الفرصة المناسبة كي يقتلوه، وأنّ هذا الوضع لن يبقى على ما هو عليه، فهم لن يصبروا على شتم آبائهم



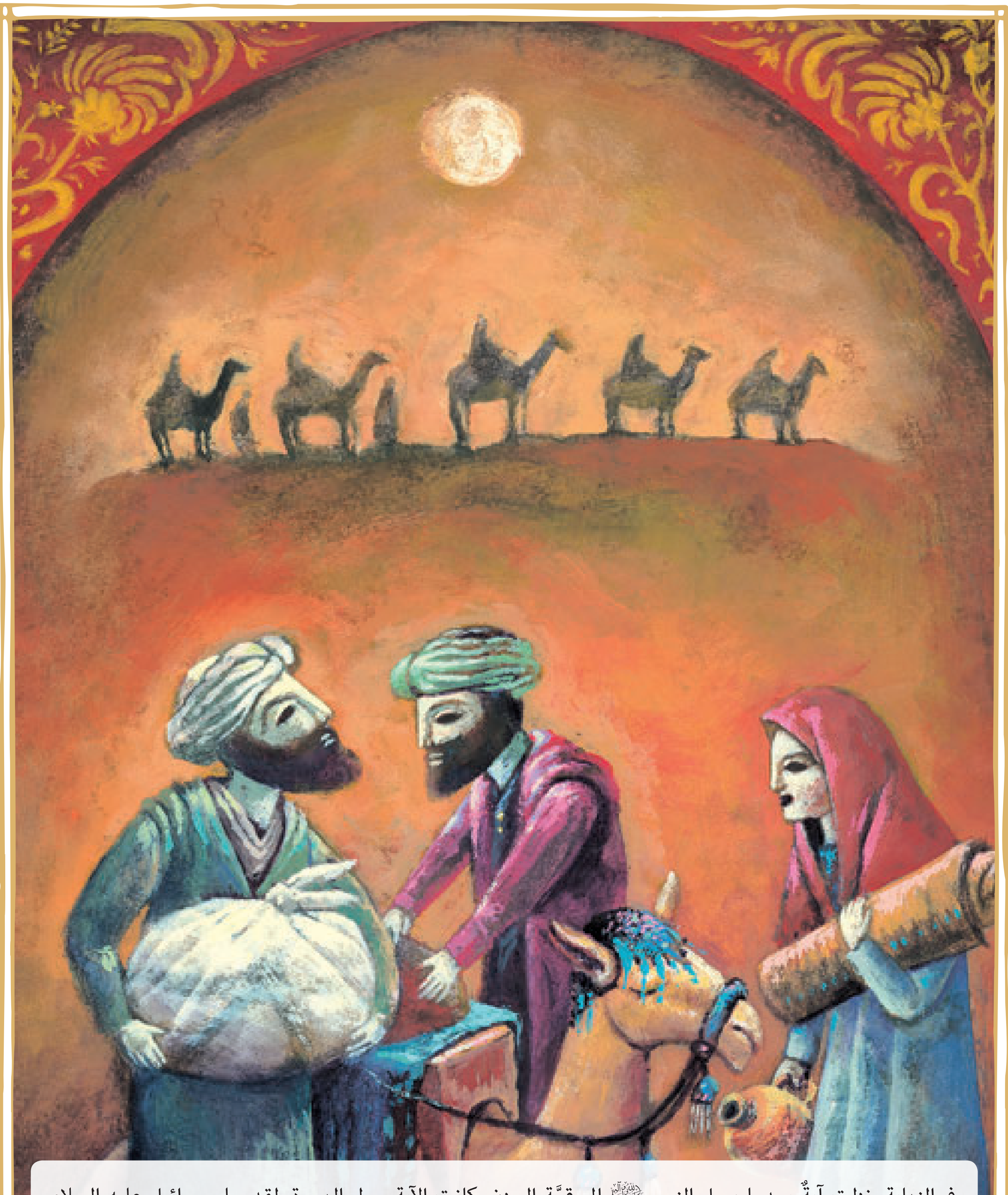


وطعن آلهتهم وأنّهم خيّروا أبا طالبٍ إما منع محمدٍ عن دعوته وإمّا أن يُعلنوا الحرب إلى أنّ قال في النهاية: «احفَظ نفسي ونفسك، فأنا لن يكون لديّ قدرةٌ للدفاع عنك دائماً».
أجابه النبي ﷺ بكلّ هدوءٍ وحنانٍ وعطفٍ: «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»، ثم قام من مكانه .
شعر أبو طالب بصدق نبوة محمد ﷺ فقال: «اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك إلى شيء تكرهه أبداً».

ولمّا رأت قريش أنّ الإسلام انتشر وازداد، ورأوا أبا طالب يدافع بقوة عن محمد ﷺ، شعروا بالخطر فجاؤوا عند أبي طالبٍ ومعهم شاب طويل القامة، قوي البنية يُدعى عمارة بن الوليد، فقالوا: «يا أبا طالبٍ، هذا أقوى فتى في قريش وأجمله، فخذه وادفع إلينا هذا الذي خالف دينك ودين آبائك فنقتله فإنما هو رجلٌ برجلٍ». قطّب أبو طالب حاجبيه وقال غاضباً: «بئسما تسومونني، والله لا يكون ذلك أبداً»
قال أحدهم: «يا أبا طالب قد أنصفك قومك»
أجابه: «والله ما أنصفتموني»
وأخذ صوت أبي طالبٍ يرتفع رويداً رويداً، إلى أن خرج الجميع وفهموا أنّه في حال أُصيب محمدٌ ﷺ بمكروهٍ فلن يبقوا على قيد الحياة فلم يتعرّضوا له ﷺ خوفاً من أبي طالبٍ لكنّهم كانوا يُلحقون كافة أنواع العذاب والأذى بأصحابه وأنصاره؛ فقد عذّبوا ياسراً وزوجته سميّة حتى استشهدا. ووضعوا الصخور الكبيرة على صدر بلال الحبشي، أمّا أبو ذر الغفاري فقد ضربه المشركون حتى كاد يموت.

احتار وجهاء مكّة ماذا يفعلون فالأذى الذي يُنزلونه على رؤوس أتباع رسول الله ﷺ لم يُجدِ نفعاً فهم يزدادون يوماً بعد يوم، وكان وجهاء مكّة يرون أنّ دفاع أبي طالبٍ وحمايتة لابن أخيه تزداد أيضاً. كل ذلك جعلهم يغضبون، فلم يتركوا وسيلةً إلا واستخدموها ولكن كانوا يفشلون في كلٍّ مرةٍ ويزدادون غيظاً بعد غيظٍ. ومرةً أخرى، اقترح أحد المشركين اقتراحاً آخر. قال لوجهاء مكة: «لا يستطيع أفراد قبيلةٍ ما أذية أفراد قبيلةٍ أخرى!»
هذا ما كان سائداً، فقد كانت تلك تقاليد وأعراف العرب.
ثم تابع قائلاً: «اجمعوا زعماء القبائل، وقولوا لهم إنّ كلّ من يُعلن إسلامه يجب تعذيبه من قِبل قبيلته إلى أن يترك دينه».
وهذا الاقتراح كان من أذكى وأدهى الاقتراحات التي نفّذها المشركون يومذاك؛ لأنّه بعد ذلك، أصبح أفراد القبيلة الواحدة يتقاتلون فيما بينهم ويؤذون المسلمين المنتمين إلى نفس القبيلة.
جمع أبو طالب بني هاشم وبني عبد المطلب وطلب منهم الدفاع عن محمدٍ ﷺ. وقال: «إنّ محمداً من قبيلتكم وقريبكم فدافعوا عنه».
قبِل الجميع ما عدا أبا لهب، نعم فقط أبو لهبٍ لم يقبل.

مضت مدةٌ والنبي ﷺ حزينٌ، مهموم، لم يكن حزنه بسبب الكلام المسيء الذي يقوله المشركون عنه؛ إنّه ساحرٌ وشاعرٌ وكاهن. لم يكن حزنه بسبب رمي المشركين للنفايات على باب داره ايضاً. حتى أنّه لم يكن منزعجاً من رمي الحجارة عليه من قِبل الأولاد في الأزقة.
كانت السيدة خديجة تعلم سبب حزن النبي ﷺ ولكنّها لم تكن تعرف ماذا تقول. فهو حزينٌ ومتضايقٌ لأنّ هناك عدةٌ من المسلمين يعيشون في ظروفٍ صعبة وشاقة وأنّهم يُعذّبون حتى الموت. ولكن خديجة كانت تخفف عنه ﷺ وتعزّيه قائلة: «لعلّ الله سبحانه يُنزل آيةً فيزيل عنك حزنك وغمّك».



في النهاية، نزلت آيةٌ بعدما وصل النبي ﷺ إلى قِمَّة الحزن. كانت الآية حول الهجرة. لقد جاء جبرائيل عليه السلام وقرأ الآية على محمدٍ ﷺ: «والذين هاجروا بعدما ظُلموا...»

فرح النبي ﷺ كثيراً لنزول هذه الآية فجمع المسلمين وقال لهم: «انتشروا في الأرض!»

سأله المسلمون: «وإلى اين نذهب؟»

أجابهم ﷺ: «اذهبوا إلى أرض ملكٍ عادلٍ، لا يظلم أحداً، هاجروا إلى الحبشة. اذهبوا فسوف يُنقذكم الله من الضائقة والعذاب».

وهكذا كانت بداية انتشار الإسلام.


نُزْهَة
واحة فكرية من رحاب
سيرة النبيّ

من هي تلك المرأة؟



إمرأة آمنت بالإسلام واتّبعته، طلب منها أبو جهل أن تشتم النبي محمداً ﷺ وتكفر بالإسلام فرفضت بقوّة وراحت تردد: لبيك يا رسول الله، فطعنها أبو جهل بسكين وعذّبها حتى الموت، وبذلك كانت أوّل شهيدة في الإسلام، وزوجة أوّل شهيد في الإسلام.
هل ترغب في التعرف إليها من تكون؟

ما عليك إلا أن تملأ الخانات الواردة أدناه بما تُشير إليه الأرقام.

16	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

3 + 2 = من أسماء البحر | 7 + 10 + 11 + 13 + 4 = لغة القرآن الكريم | 5 + 6 = أحد الوالدين
5 + 6 + 3 + 4 = لا تُجيد القرآءة والكتابة | 7 + 2 + 10 + 14 + 12= بمعنى بناء
1 + 10 + 9 + 11= بمعنى وهم | 15 + 16 + 13 + 10 = مكان للنوم



من هو ذلك الرجل؟



رجلٌ من قريش عارض النبي محمداً ﷺ في دعوته، أَلْحَقَ به أذى شديداً، وهو أوّل قاتل لمسلم في التّاريخ.
هل ترغب في التعرّف إلى اسم هذا الرجل من يكون؟
ما عليك إلا أن تملأ الخانات بما تُشير إليه الأرقام الواردة.

6	5	4	3	2	1

3 + 5 + 2 = أعطى دون مقابل | 6 + 4 = بمعنى أَلَحَّ | 1 + 3 = حرف عطف يفيد التخيير

من هو ذلك النبيّ؟

نبيٌّ من أنبياء أولي العزم عليهم السلام، بشّر بمجيء النبي محمد ﷺ قائلاً:

{إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}

كي تتعرّف إلى اسم النبي عليك أن تملأ الخانات بما تُشير إليه الأرقام.

9	8	7	6	5	4	3	2	1

6 + 2 + 5 = الإمام الأوّل من أئمّة أهل البيت عليهم السلام

4 + 3 + 9 = بمعنى عمّر | 3 + 1 + 8 = بمعنى بشر | 6 + 7 + 3 = حاسة النظر

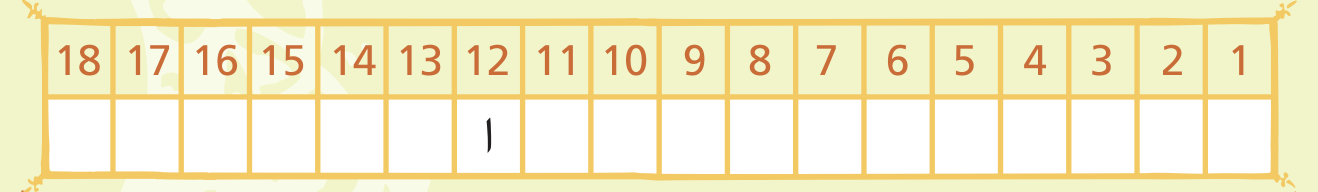
من هو ذلك الإمام؟

أرادت قريش أن تتخلّص من النبي محمد ﷺ فقرّرت قتله في فراشه، إلا أنّ إماماً فدى الرسول بنفسه وبات في فراشه فنزلت بحقّه الآية الكريمة:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ}.

هل ترغب في أن تتعرف إلى اسم هذا الرجل؟

ما عليك إلا أن تملأ الخانات بما تُشير إليك الأرقام الواردة.



18	17	16	15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
						ا											

1 + 2 + 7 + 8 + 6 = ضدّ الجهل | 11 + 10 + 9 = صاحب معجزة | 5 + 17 + 4 = بمعنى وجع

15 + 18 + 13 + 15 = يداوي النّاس ويُعالجهم | 3 + 14 + 16 + 10 = ضدّ ذهاب





اسم من أسماء النبي محمّد ﷺ ذُكِر في القرآن الكريم، لكي تتعرّف إلى هذا الاسم املأ الدوائر بالأحرف المناسبة، ثمّ اجمع الأحرف المظللة بالترتيب لتحصل على الاسم.

ح

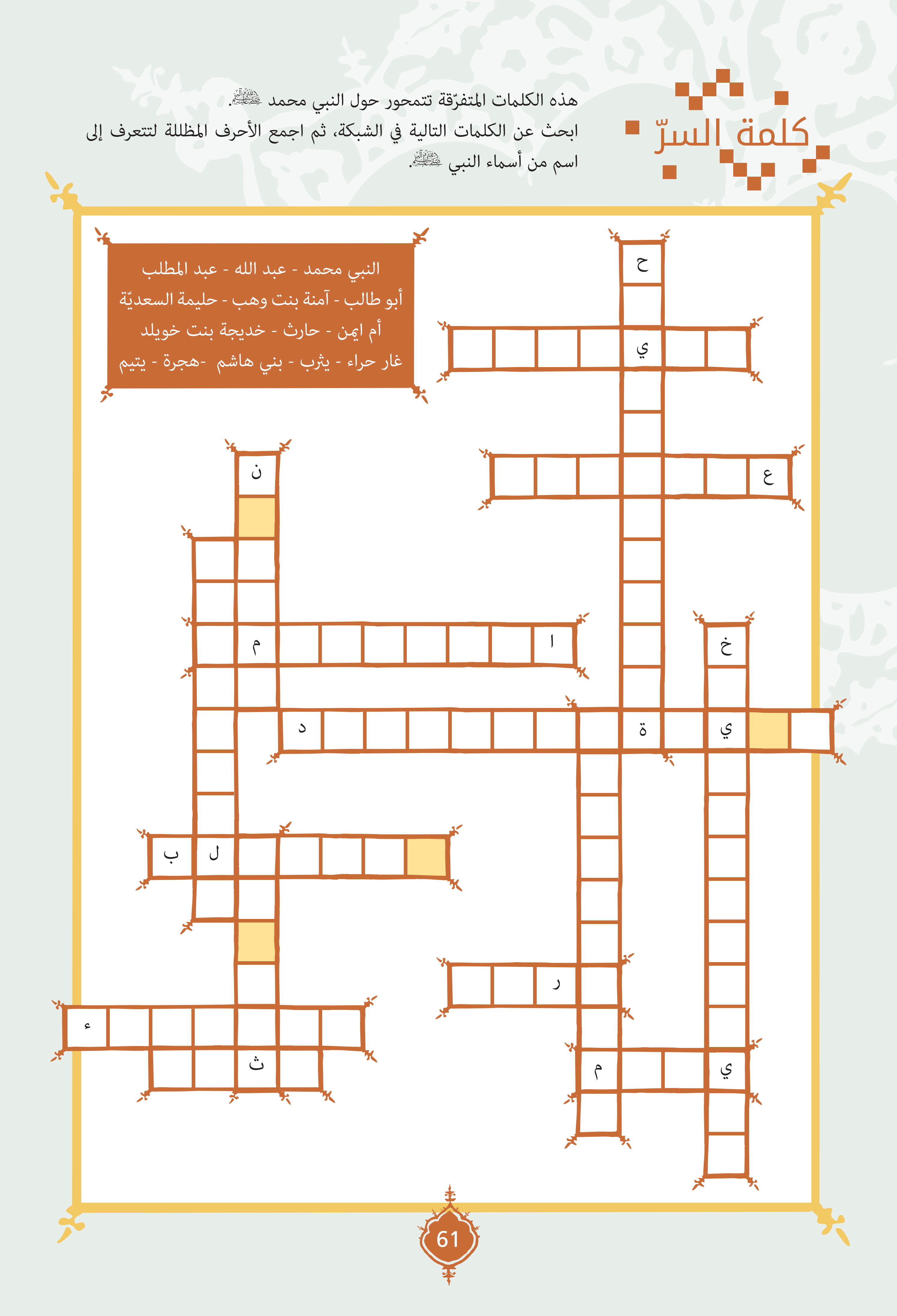
1 ا ف
2 ء ر
3 ن ي
4 ق ر
5 ء ا

١ : مدينة عربيّة في فلسطين المحتلّة | ٢ ك اسم الغار الذي كان ينفرد فيه النبي ﷺ للعبادة.
٣ : اسم حفيد النبي ﷺ، قال بحقّه: « .... منّي وأنا من ....».
٤ : حدث مدمّر يكون للنار دور كبير فيه | ٥ : اسم شجرة تستخدم أوراقها في صبغ الشعر.



كلمة السرّ

هذه الكلمات المتفرّقة تتمحور حول النبي محمد ﷺ.
ابحث عن الكلمات التالية في الشبكة، ثم اجمع الأحرف المظللة لتتعرف إلى اسم من أسماء النبي ﷺ.



طرف الخيط

أحبّها رسول الله ﷺ حتى قال إنّها قرّة عينه وإنّه لا يشبع منها أبداً.
هل تريد أن تعرف ما هي؟
إذن ما عليك إلا أن تُمسك بطرف الخيط وتبدأ بحديث النبي ﷺ
حتى تصل إلى النقطة النهائيّة.

ي	ن	ي	ف	ي	ا	ل	ق
ع	م	آ	ن	ا	ل	ص	ا
ة	ظ	و	ي	و	م	ل	ل
رّ	ل	ر		أ	ا	ا	ر
ق	ا	ب		ن	ء	ة	س
ى	ى	ر		ا	ف	و	و
ل	ل	ش		ل	إ	ح	ل
ا	إ	ا		ا	نّ	ب	ا
ع	و	ذ		أ	ا	ب	ل
ت	م	إ		ش	ل	ه	ل
ه	ا	ن		ب	ج	ا	ه
ل	ع	آ		ع	ا	إ	ص
ل	ط	م	اً	م	ئ	ل	ل
ا	ل	ظ	د	ن	ع	يّ	ى
ل	ا	ل	ب	ا	إ	ك	ا
ع	ع	ا	أ	ل	ذ	م	ل
ج	ئ	و	ة	ص	ا	ا	ل
:	ا	ع	ا	ل	أ	ح	ه
م	ج	ب	ش	ل	ك	ب	ع
ل	ل	ا	ى	ل	إ	ب	ل
س	و	ه	ل	آ	و	ه	ي

أحرف ورموز



تميّز رسول الله محمد ﷺ بصفة عظيمة يُحبّها الله تعالى فأنزلَ آية قرآنيّة بحقّه يمدحه فيها، هل تريد أن تتعرّف إلى الآية الكريمة؟ ما عليك إلا البحث عن الأحرف من بين الرموز الواردة في الجدول:

